أنطولوجيا اللغة عند هايدجر

دراسة فلسفية في قصيدة "الكلمة" لجئورجه

دكتورة

صفاء عبد السلام جعفر



تليفاكس : ٠٣/٥٢٥٤٤٣٨ الإسكندرية

أنطولوجيا اللغة عند هايدجر

أنطولوجيا اللغة عند هايدجر

دراسة فلسفية فى قصيدة "شتيفان جئورجة"
" الكلمــة "

دكتورة/ صفاء عبد السلام على جعفر

كمبيوتر : (دار الوفاء)

الطباعة : دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

شارع ملك حفنى قبلى السكة الحديد

بجوار مساكن دربالة أمام بلوك رقم ٣

الرقم البريدى : ٢١٤١١ - اسكندرية

٢' / ٢٠٠١

977 - 327 - 130 ·

إهـــــداء ٢٠١٢

محمد صالح الضالع

جمهورية مصر العربية

أنطولوجيا اللغة عند هايدجر

دراسة فلسفية فى قصيدة "شتيفان جئورجة"

" الكلمـــــة "

دكتورة

صفاء عبد السلام جعفر

كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية

قسم الفلسفة

الناشر

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس: ٥٣٥٤٤٣٨ -إسكندرية

المقدمة

أحدث هايدجر "ثورة كوبرنيقية" لاشك فيها في تفسيره لماهية اللغة؛ فلم يعد أساس اللغة الإنسانية النحو أو المنطق ؛ وإنما "الكلام" أو "المعنى" من ناحية وجودية، ولم تعد القضايا المنطقية محور اهتمام اللغة ؛ وإنما الأساس الوجودى لهذه القضايا، والأساس الوجودى للغة أو الحوار إستناداً إلى أن ما أسمعه من الآخر هو "رسالة" لامجرد كلمات ؛ فالوجود الإنسانى الحقيقى "حوار" بالضرورة ، و"الكلام" عنصر أساسى يدخل فى تركيب ذلك الوجود ، ويحقق له الانفتاح على موجودات العالم .

* * *

أما بعد .. ،

يقع هذا البحث تحت عنوان "المفهوم الأنطولوجى للغة عند هايدجر" ، وهو يتناول تفكير هايدجر المتطور عن اللغة، ويركز بصفة أساسية على محاضرات ثلاث كتبها هايدجر فى عام ١٩٥٩م تحت عنوان "ماهية اللغة" ، ونُشرت فى كتابه الهام "على الطريق إلى اللغة"(*) وذلك فى محاولة لاستخلاص "المفهوم الأنطولوجى للغة" فى مرحلة نضجه الفكرى .

والبحث من ناحية أخرى -محاولة لأن نكون "على الطريق" إلى اللغة مع هايدجر، ولعل كلمة "الطريق" جديرة بأن نتريث قليلاً فى فهم معناها لأهميتها

(*) يضم هذا الكتاب البحوث والمحاضرات الآتية : اللغة - اللغة فى القصيدة ، شرح لقصيدة تراكل - من حديث عن اللغة ، بين أستاذ يابانى وطارح للسؤال - ماهية اللغة ، الكلمة (شرح قصيدة شتيفان جئورجه) - الطريق إلى اللغة .

البالغة عند فيلسوف الوجود المعاصر .

يبدو أن هايدجر لم يقصد فى استخدامه لمصطلح "الطريق" Weg- way ذلك المعنى السطحى الذى نتداوله جميعاً ؛ أى الطريق بوصفه مكاناً ممتداً يصل بين مكانين.

إن هايدجر فى محاضراته عن "ماهية اللغة" يهدف إلى "الدخول فى تجربة مع اللغة" كما سيأتى بيانه ، "وتجربة شئ ما" تعنى "أن نكون على الطريق إليه" بارتياد ذلك الطريق ، وأن ما نسير بهدف الوصول إليه يلتقى بنا ، ويوجه نداءه إلينا ، ويحدث فينا "التحول" ؛ لأن هدفنا كما يقول هايدجر هو أن "نكون على الطريق"[*][1] .

ويمكن القول بأن كلمة "الطريق" تقترب فى المعنى من كلمة Tao أو Dao الصينية ، وتعبر عن الجانب التأملى العقلى لدى الإنسان[2] .

والتاوية -Taoism أو Daoism هى المدرسة الثانية بعد الكونفوشية فى الفكر الصينى القديم ، أسسها "لاوتسى" فى القرن السادس ق.م، ووضع مؤلفه الكبير "مصنف لاوتسى" ، وتأثرت فيما بعد بتعاليم البوذية. والتاو Tao هو الطريق، ويقصد به السير على منوال الطبيعة ووفق قوانينها ، وهو مبدأ الحياة وأصل الوجود

(*) "auf ein Unterwegs- sein" - "to be on the way" .

(1) Heidegger, M. : "On the Way to language" "the Nature of Language" trans by Hertz, P.D., Haper & Row Publishers, Inc., U.S.A., 1971, P.73- 74.

(2) Ibid., P.92.

واللاوجود ويعد مصدر كل الكائنات ، وبه تتحول إلى أضدادها وفق التاو أو المبدأ الخاص بها .

والتاوية فى تطورها ذهبت إلى أن "اللاوجود" مقولة كبرى، ويعنى الوجود الخالص الذى يسمو فوق كل الأشكال والأوصاف والذى يعمل وفق مبدأ العقل الكلى[1].

إن كلمة "Tao" الصينية تعنى الطريق الذى توجد من خلاله الأشياء أو هو الطريقة التى تتغير من خلالها الأشياء فى العالم ، وهو يتجاوز الطرق المألوفة فى الحديث عن دور الاله فى علاقته بالعالم .

والطريق أو الـ "Tao" يتعذر وصفه ؛ فنحن لانستطيع معرفة ماهية الحقيقة رغم اعتقادنا بذلك . وأساس الطريق يعبر عن حقيقة لايمكن تسميتها ، وهذا الوصف هو محاولة لتجاوز التمييزات التقليدية بين الحقيقة واللاحقيقة ، الجوهر والوظيفة ، الذات والموضوع ، فالحقيقة فى حد ذاتها "متماثلة" تماما، ونحن نسمع ونرى ونلمس الحقيقة؛ ولكنها فى حد ذاتها لامرئية، ولايمكن الامساك بها أو الاستماع إليها[2] .

وعلى الرغم من صعوبة تعريف ماهية "الطريق" فإن الأمر لم يخل من محاولة تعريفها بطرق عديدة ؛ فمن حيث الأصل ينبغى تعريف الطريق بوصفه علة

---

(١) عبد المنعم الحفنى : "الموسوعة الفلسفة " ، دار ابن زيدون – بيروت، ١٩٩٢، "مادة : التاوية" ، ص:١٣٣ .

(2) Leaman, O. : "Key Concepts in Eastern Philosophy", Routeledge, Great Britain, London, 1999, P.83.

أنطولوجية، ومن حيث المبدأ هو الأساس الأخير للتغير فى حين أنه لايتغير، ومن حيث الوظيفة فإن الطريق يعبر عن الفعل الناتج من محاولة إنجاز غاية ما[1].

فى "الطريق" يتم التمييز بين المتناهى والمطلق، وأحد خصائص "المتناهى" أنه يمكن وصفه باستخدام اللغة المألوفة لدينا ؛ بينما يكون "المطلق" فيما وراء اللغة.

ولكى نتحد مع "الطريق" أو "نكون على الطريق" بتعبير هايدجر علينا أن نعلو على التمييزات المألوفة التى نضعها بين الأشياء ، وهى التمييزات التى ينشأ عنها ما يسمى "بالمعرفة" ؛ وكلما تجاوزنا هذه التمييزات كان إدراكنا "أعمق" للطريق[2] .

ومن ناحية أخرى ، فإن لمصطلح "الطريق" Tao [*] مثل القول - "Sage "Saying قوة خاصة تعبر عن الوسيلة أو الطريقة أو الأسلوب الخاص لوجود العقل والروح والمعنى إن "الطريق" يشير إلى وسيلة تحقيق الحضور فى مجال الإنارة Lichtung - Clearing؛ حيث تحضر الموجودات فى العالم من وجهة نظر هايدجر، فضلاً عن أن كلمة "Tao" تعبر عن الطريق الواهب لجميع الطرق ؛ فهو مصدر قدرتنا على التفكير ، أى هو العقل أو المعنى أو اللوجوس من حيث الماهية[3].

---

(1) Ibid., P.84.

(2) Ibid., P. 85- 86 .

(*) تُترجم كلمة Tao أو Dao بالعقل أو المعنى أو اللوجوس وهى على التوالى : Vernunft- Sinn- Logos, Reason- meaning- Logos.

(3) Heidegger, M. : "The Nature of Language ...", P.92.

يقول هايدجر :

"... نحن نتساءل عن الطريق لأننا موجودون بالفعل، ومع ذلك لم "نصل" بعد بصورة حقيقية إلى موضوع اهتمامنا ، ولم نقترب منه، وهذا الطريق الذى يسمح لنا بالوصول إلى الوجود يختلف عن سائر الطرق .. الطريق هوما نصل من خلاله إلى .. نداء الوجود ، وتوجهنا فى ذلك اللغة الثرية بالمعانى المحتجبة .."[1]

ويؤكد هايدجر فى هذا السياق على أهمية مصطلحى "الوصول" gelangen- arriving ، و"المجال" Die Gegend-the country ، فالوصول يرتبط بالطريق؛ إذ أن الوصول إلى شئ ما يحدث فقط عندما نمهد لذلك الوصول ، و"المجال" يمنحنا الطريق، ويحركنا إليه ؛ إنه الواهب الأصلى ومؤسس سائر الطرق[*][2] .

ولاغنى لنا ونحن "على الطريق إلى اللغة" مع هايدجر من أن نتأمل عبارته القائلة: "... *القول الشعرى يشبه السير على الطريق*"[**][3] ؛ ففى اللغة الألمانية كلمتان:

---

(1) Ibid., P.93-91 .

(*) "Wege allererst ergeben und stifter" - to be the original giver and founder of ways" .

(2) Ibid., P.92.

(**) Weggehen- a goning away .

(3) Ibid., P.77 .

١- Poesie وأصلها اليونانى Poièsis بمعنى "صناعة" أو "إنتاج" Production- making الشعر ، وهى مشتقة من الفعل Poiein ومعناه "يصنع" و"يقوم بفعل ما". ويلاحظ أن Poesie لها معنى أضيق من Poièsis ، وتنطبق خصوصاً على الشعر فى مقابل النثر .

٢- Dichtung وهى مشتقة من الفعل dichten بمعنى "يبدع" invent "ويكتب" write ، ومصدرها الكلمة اللاتينية dictare ومعناها "يردد" dictate ، و"يركب" Campose ومعناها أوسع من Poesie أو Poetry ، وتنطبق على كل المؤلفات الإبداعية بما فى ذلك الروايات وليس الشعر وحده .

يرى هايدجر أن "كل فن من حيث ماهيته شعر" Dichtung(*) بالمعنى الواسع للكلمة ؛ إن كل تفكير عند هايدجر "شاعرى" بمعنى أنه "إبداعى" ، ومع ذلك فليس كل تفكير شعراً بمعنى الشعر المنظوم ، والفلسفة الخالدة فى رأيه ذات طبيعة فكرية- شاعرية ؛ بل إن اللغة ذاتها شعر بالمعنى الجوهرى للكلمة ؛ أى أن اللغة تحضر الموجود ذاته إلى الانفتاح عن طريق "التسمية" ؛ أى عن طريق "الشعر".

أما نظم الشعر Poetry- Poesie فهو يحدث فى اللغة ؛ لأن اللغة تصون الماهية الأساسية للشعر بالمعنى الواسع للكلمة Dichtung، وأما البناء Bauen- building والتشكيل Bilden- forming فهما يحدثان دائماً من خلال انفتاح

(*) ربط هايدجر بين dichten و erdichten و ausdichten لتعنى نفس الشئ : يبدع – يصنع- يكشف ، وهذه الطبيعة الشاعرية هى ماهية التفكير كما سيأتى بيانه ، و"كانط" هو أول من لاحظ السمة الإبداعية للعقل فيما يسمى "بالخيال الترانسندنتالى" Einbildungshraft .

القول والتسمية[1].

ويتفق هايدجر فى هذا الصدد مع هيلدرلين[**] فى قوله بأننا عندما "نسمى" الأشياء والآلهة يظهر العالم ؛ فتسمية الآلهة إستجابة لندائها الموجه إلينا، واستجابتنا فعل مصيرى علينا أن نتحمل مسئوليته[2] .

وجدير بالذكر أن "التسمية " دورها حاسم فى مفهوم هايدجر الأنطولوجى للغة؛ فلقد ربط بينها وبين "المعرفة" فى علاقة وثيقة ؛ إذ أن تسمية شئ ما معناها أن نجعله معروفاً ، فضلاً عن أن التسمية قول وتوضيح يحقق الانفتاح للأشياء ، ويبقى على حضورها[3] .

إذن الشعر أو **Dichtung** لايعنى مجرد نظم مقطوعات من الشعر ، وإنما النشاط الذى يخلق ويشكل ، ويتحقق هنا على صورة كشف أنطولوجى[4]، علماً بأن الكشف عن الوجود بوصفه "إنارة" يتجلى فيه ماهو موجود بما هو كذلك، وهذه

---

(1) Inwood M. : "A Heidegger Dictionary" , The Blackwell Publishers Ltd., Creat Britain, 1999, P.168-169 .

(**) فريدريش هيلدرلين (١٧٧٠-١٨٤٣م) شاعر رومانتيكى ألمانى من أهم قصائده قصيدة المتجول ، وخبز ونبيذ ، والعودة إلى الوطن ... ومن مسرحياته الشعرية موت أنبادوقليس ، وترجمته لمسرحية أوديب ملكاً فى عام ١٨٠٢ . ظهرت عليه أثار الاختلال العقلى الواضح وتوفى فى ٧ يونيو ١٨٤٣م. أقبل هايدجر على شرح قصائده وبين أهميته كشاعر مفكر أو كشاعر الشعراء ، حيث عكف على تأمل ماهية الشعر وبالتالى ماهية اللغة والوجود .

(2) Ibid., P.170 .

(3) Ibid., P. 245 .

(٤) مارتن هايدجر : "هيلدرلين وماهية الشعر" ، ترجمة فؤاد كامل فى مالفلسفة ؟ والميتافيزيقا؟ هيلدرلين وماهية الشعر ، ترجمة فؤاد كامل - محمود رجب ، مراجعة وتقديم عبد الرحمن بدوى - دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٤، ص : ١٣٩ .

الإنارة ليست من صنعنا ولا تحت تصرفنا[1] .

إن النظرة المألوفة للغة تجعلها من صنع الإنسان ورمزاً له كما هى الحال فى الميتافيزيقا التقليدية[2]؛ أما هايدجر فيرى فى المقابل ضرورة تحرير اللغة من قواعدها وصولاً إلى بنية أكثر أصالة؛ بحيث يمكننا "التحول" إلى طريق الإبداع الفكرى والشعرى[3].

بعبارة أخرى ، يرى هايدجر ضرورة تجاوز الميتافيزيقا التقليدية التى انصب اهتمامها على الموجودات إلى مجال الوجود ذاته ، وعلينا من ثم أن نبحث فى أصل اللغة من خلال ماهية الوجود ذاته ، أى فى ضوء الكشف الأصلى عن الموجودات ككل؛ "فلسنا نملك اللغة بقدر ما تملكنا"[4] .

* * *

أما عن الهدف من هذا البحث فهو محاولة الإجابة عن الأسئلة الثلاثة التالية :

س١ : ما أهم خصائص "أنطولوجيا الكلمة" عند هايدجر فى ضوء تفسيره لقصيدة "الكلمة" للشاعر الرمزى شتيفان جئورجه ؟

س٢ : كيف فسر هايدجر ماهية اللغة بوصفها لغة الماهية ؟

س ٣ : ما أهم خصائص المفهوم الأنطولوجى لعلاقة الجوار بين الشعر والفكر؟

---

(1) Brown S , Collinson D., Wilkenson P.: One Hundred 20 th Century Philosophers", Routeledge, London, 1999, P.89.

(2) Leaman, O. : "Key Concepts ..", P.115 .

(3) Ibid., P.245 .

(4) Ibid., P.115.

- وأما عن المنهج المستخدم فى البحث فهو " المنهج التحليلى التركيبى " لتحليل أقوال الفيلسوف حول ماهية اللغة بهدف التوصل إلى المفهوم الأنطولوجى للغة عنده؛ فضلاً عن "المنهج التاريخى" عند تتبع تفسير هايدجر للغة فى فكره المتطور بشكل موجز ، و"المنهج المقارن" عند المقارنة بين الشاعر والمفكر من حيث المهمة التى يضطلع بها كل منهما للكشف عن حقيقة الوجود .

- وأما عن موضوعات البحث فهى كما يلى :

- مدخل تمهيدى يتتبع تفكير هايدجر حول اللغة بصفة عامة ، ويركز على تفسيره للغة فى مؤلفه الهام "على الطريق إلى اللغة" كمحاولة للدخول فى تجربة مع اللغة كما سيأتى بيانه .

- وينقسم البحث إلى فصول رئيسية ثلاثة : الفصل الأول بعنوان "أنطولوجيا الكلمة عند هايدجر فى ضوء تفسيره لقصيدة "الكلمة" لجئورجه ، وفيه تحليل هايدجر للقصيدة ، والعلاقة بين الكلمة والشئ ، والكلمة والجوهرة، والتعقيب على ذلك من خلال محاولة الإجابة عن السؤال الأساسى الأول فى البحث عن أهم خصائص أنطولوجيا الكلمة عند هايدجر .

- أما الفصل الثانى فيدور حول العبارة القائلة بأن ماهية اللغة هى لغة الماهية ، وفيه نتناول ماهية التفكير عند هايدجر تمهيداً لتفسير العبارة السالفة من وجهة نظر هايدجر ، ثم ماهية اللغة عنده بوصفها قولاً شعرياً . وفى التعقيب على هذا الموضوع محاولة للاجابة عن السؤال الثانى الأساسى فى البحث عن كيفية تفسير هايدجر للعبارة القائلة بأن ماهية اللغة : لغة الماهية .

- وأما الفصل الثالث والأخير فهو يتناول "علاقة الجوار بين الشعر والفكر" ، وفيه

نتعرض لعلاقة الجوار والدخول فى تجربة مع اللغة ، ثم القول والقرب فى علاقة الجوار ، والشاعر والمفكر وعلاقة الجوار ، وأخيراً "رنين الصمت" وعلاقة الجوار.

وفى التعقيب على هذا الفصل محاولة للإجابة عن السؤال الأساسى الثالث فى البحث عن أهم خصائص المفهوم الأنطولوجى لعلاقة الجوار بين الشعر والفكر .

- وأخيراً تأتى خاتمة البحث حيث أوردنا فيها عدة ملاحظات حول المفهوم الأنطولوجى للغة عند هايدجر ، وفى نهاية البحث قائمة المصادر والمراجع ثم ثبت بأهم المصطلحات الواردة فيه .

* * *

إن زماننا -على حد تعبير هيلدرلين -هو "الزمن الضنين" ؛ فالشاعر قد نظر حوله، ووجد البشر بعيدين عن السماء ، والسماء بعيدة عن البشر ، وأحس أن الدنيا قد خلت من البراءة والجمال ، وأن الحب نفسه قد أصبح سخفاً وخداعاً ، واللغة أقفرت من الحوار ؛ فلم تعد هى لغة الأرض والأحباب[1] .

كما أن زماننا هو زمان التكنولوجيا والتقنية والآلة ، وغياب معنى "المقدس" و "القداسة" ، فهل يعيننا "القول الأصلى" فى الشعر والفكر -على حد تعبير هايدجر - كى نعود إلى سكننا التاريخى الذى هو "القرب من الوجود" ؟ ، وهل بوسعنا أن ننصت إلى نداء الوجود من جديد أو أن نصغى إلى "رنين الصمت" ليعود الإنسان إنساناً ، والوجود وجوداً حقيقياً ؟؟؟

"والله ولى التوفيق"

---

(١) عبد الغفار مكاوى : "شعر وفكر - دراسات فى الأدب والفلسفة" - الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥ ، ص : ٥٦ .

- مدخل تمهيدى :

تناول هايدجر مفهوم اللغة فى مرحلة تفكيره المبكر ، وخصوصاً فى كتابه الرئيسى "الوجود والزمان **Sein und Zeit** الذى نشره فى عام ١٩٢٧م، وذهب فيه إلى أن أساس "اللغة الإنسانية" ليس النحو أو المنطق ، وإنما "الكلام" أو "المعنى " من ناحية وجودية ؛ فالكلام ميزة أساسية للموجودات الإنسانية، ويعنى ذلك قصور أى تحليل صورى للغة ؛ فاللغة لاتمثلها القضايا ، وإنما الأساس الوجودى لهذه القضايا ، كما يعنى ضرورة التركيز على الأساس الوجودى للغة أو "الحوار" للكشف عن السمات الصورية الخالصة للإتصال الإنسانى التى تأتى فى مرتبة تالية .

وهذا الحوار معناه أن اللغة "إبلاغ" يقوم به الموجود "هناك" ونستخدمها لتوضيح موضوع الكلام ، وأن ما أسمعه من الآخر هو "رسالة" لا مجرد كلمات، وأن الكلام مشاركة نعبر عنها بالألفاظ والكلمات .

إذن الكلام أو الحديث هو الأساس الأنطولوجى للغة ، كما أنه أساس المعقولية **Die Verständlichkeit** ، ويرتكز عليه كل من التفسير والقول، فما يمكن توضيحه فى التفسير وبخاصة فى الكلام هو ما يسمى "بالمعنى" ، وما يتم توضيحه فى البيان الكلامى نسميه "بالمعنى الكلى" **Bedeudungsganze** الذى يتجزأ إلى عدة معان[1] .

فاللغة "كل مكون من كلمات" **Wortganzheit** . وفى هذا الكل يكون

---

(١) كاتبة السطور : "الوجود الحقيقى عند مارتن هايدجر" - منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ٢٠٠٠م ، ص : ٢٠٤ .

للكلام وجود عالمى خاص به كموجود داخل العالم ، وهذا الكل وجود -فى متناول اليد(*) ، واللغة يمكن أن تتجزأ إلى أشياء - كلمات " التى هى وجود حاضر(**)(١) .

يرى هايدجر فى "الوجود والزمان" أن الوجود الإنسانى الحقيقى "حوار" بالضرورة ، وأن "الكلام" عنصر أساسى يدخل فى تركيب ذلك الوجود، ويقوم على انفتاحه على نفسه ، وعلى العالم جميعاً ؛ أما اللغو(***) فهو السمة الوجودية للكلام فى الوجود اليومى المتوسط للإنسان فى مقابل وجوده الحقيقى . وأهم معانيه الأنطولوجية أنه "تفسير للموجودات على نحو تقريبى" بحيث يقرب وهم الفهم بدون أن يكون الإدراك حقيقياً ، وهو "إنغلاق لباب المعرفة الحقيقية والتساؤل الحقيقى" ، كما يشمل الكلام الشفهى ، والكتابات التافهة ، والقراءة السطحية التى لاتميز بين الكلام الحقيقى والزائف، ويفقد الإشارة الأولى إلى الوجود ؛ فهو إخفاء وحجب بمعنى غياب الأساس؛ أى يكون الفهم بلا أساس من الناحية الوجودية مما يشعر الموجود الإنسانى بالوحشة **Unheimlichkeit - uncanniness** فيفقد الكلام سمة الانفتاح الأصيل للموجودات، ويلغى اكتشاف الأشياء فى ذاتها ، كما يعبر عن "انقطاع صلة الموجود الإنسانى بالعالم والآخرين من الناحية الأنطولوجية"، وعلى الرغم من ذلك فهو ديالكتيك يحرك ذلك الموجود نحو

(*) **Zuhandenheit - readiness - to hand .**

(**) **Vorhandenheit - Presence - at- hand .**

(١) نفس المرجع ، والصفحة .

(***) **Geede , idle talk .**

الوجود الحقيقى شوقاً إلى الكلام الحقيقى[1].

أما عن مرحلة تفكيره المتطور -وهى موضوع هذا البحث - فيمكن القول إنها ترتكز حول كتابه "على الطريق إلى اللغة"[*] ، ويشتمل هذا الكتاب على محاضرات ست كتبها هايدجر فيما بين عامى ١٩٥٥ - ١٩٥٩م ، وتدور المحاضرات الثلاث الأولى حول "ماهية اللغة" ، وهو الموضوع المحورى لهذا البحث، وفيها يتعرض هايدجر للعلاقة بين الشعر والتفكير ، ويتناول الوجود من خلال علاقته باللغة[2].

يقول هايدجر :

"المحاضرات الثلاث التالية عنوانها "ماهية اللغة"[*] ، والهدف منها أن تجعلنا فى مواجهة إمكانية الدخول فى تجربة مع اللغة[**] ، والدخول فى تجربة مع شئ ما سواء كان هذا الشئ شخصاً أو إلهاً يعنى أن هذا الشئ يحدث لنا ، ويستوقفنا ، ويستولى علينا ، ليحقق بداخلنا التحول ، فالحديث عن الدخول فى تجربة مع اللغة يعنى بصفة خاصة أن هذه التجربة ليست من صنعنا ، وعلينا أن نتحمل هذه التجربة ، وأن

---

(١) نفس المرجع ، ص : ٢١٩- ٢٢٠ .

وأيضاً : Cp. Heidegger, M. : "Sein und Zeit" . S.170 .

(*) On The Way to Language- Unterwegs zur Sprache .

(2) Kockelmans, J.J. : "Heidegger, "On Art and Art Works" Martinus Nifhoff Publishers, The Netherlands, 1985, P.199.

(*) Das Wesen der Sprache - The Nature of Language .

(**) Mit der Sprache eine Erfahrung machen- to underge an experience with language .

نعانيها ونتلقاها ... وأن نستسلم لها عند حدوثها .. إن الدخول فى تجربة مع اللغة إنما يعنى أن نترك أنفسنا للإنشغال باللغة بالدخول فى عالمها"[1].

يتضح من النص السابق أن هايدجر فى كتابه "على الطريق إلى اللغة" وفى محاضراته عن ماهية اللغة ، وتفسيره لقصيدة "الكلمة" للشاعر شتيفان جئورجه -كما سيأتى بيانه تفصيلاً- إنما يهدف أساساً إلى "الدخول فى تجربة مع اللغة" ويعنى ذلك أن ننتبه إلى علاقتنا باللغة ، ونفكر فى "سكننا فى اللغة"، ونستوضح طبيعة شئ يتعلق بصميم وجودنا ، إذن علينا أن نحيا تجربة اللغة بحيث تعبر عن نفسها بنفسها ؛ فاللغة تتميز بأننا نعيش فيها ونألفها دون أن ننتبه إليها فى العادة، فكيف نخرج من هذه الحال ؟

إن التفكير فى "ماهية اللغة" قد ألجأ هايدجر إلى إلتماس العون من الشعراء، لأن علاقتهم باللغة متميزة ، ولأنهم أقدر من غيرهم على التعبير عنها، فاتجه إلى هيلدرلين ليستوضحه عن ماهية الشعر والشاعر[2] ، كما اتجه إلى العديد من الشعراء مثل ريلكه، وتراكل، وجئورجه الذى نتناوله بشئ من التفصيل فى هذا البحث .

يرى هايدجر أن "الدخول فى تجربة مع اللغة يختلف عن مجرد جمع معلومات عن اللغة عن طريق علماء اللغة، وفقه اللغة، وعلماء النفس، وفلاسفة التحليل

---

(1) Heidegger, M. : " Das Wesen der Sprache -Unterwegs zur Sprache", Gesamtausgabe , B. 12, Vittorio Klostermann, Frankfurt am Main, Germany, 1985, S.149.

(٢) عبد الغفار مكاوى: "نداء الحقيقة" ، ترجمة ودراسة وتقديم ، سلسلة النصوص الفلسفية (٩) - دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص: ٢٠٥ - ٢٠٧.

.. فإمكانية الدخول فى تجربة مع اللغة تتم من خلال اللغة ذاتها .. أى أن اللغة تحدث بوصفها كذلك .. فى أيامنا هذه يهدف العلم والبحث الفلسفى عن اللغة إلى "مابعد اللغة" Metasprache - metalanguage .. ويقترب ذلك من الميتافيزيقا، فهى ميتافيزيقا علم ما بعد اللغة أو ميتافيزيقا البحث فى كل أساليب التقنية الخاصة باللغات جميعاً .. ومع ذلك فإن إحصاء المعلومات العلمية والفلسفية عن اللغة شئ ، والدخول فى تجربة مع اللغة شئ آخر"[1].

يتضح مما سبق أن سؤال هايدجر عن "ماهية اللغة" لاينتهج مسالك الميتافيزيقا الحديثة التى تتقيد بها بحوث "مابعد اللغة" ، فهذه البحوث هى ميتافيزيقا السيطرة التقنية التى تنشر سلطانها على جميع اللغات لتشغيل أداة التوصيل والإعلام التى تصل بين الكواكب المختلفة . كما أن سؤاله عن ماهية اللغة لايتناول أبحاث "مابعد اللغة"، وهى الأبحاث التى تنصب على اللغة التى تدرس لغة أخرى طبيعية أو فنية كالحساب المنطقى أو نظرية علمية محددة بحيث تكون اللغة الأخيرة متميزة عن اللغة موضوع الدراسة ، وهذه اللغة البعدية تضم نظريات بعدية عن الخصائص البنائية والدلالية والصورية للغة التى تدرسها، ولهذه النظريات أهمية كبرى فى تطور السيبرنطيقا والعقول الحاسبة[2].

وهايدجر يؤكد أن هدفه هو "الدخول فى تجربة مع اللغة" لابمعنى القيام بتجارب على اللغة أو جمع معلومات عنها كما يفعل علماء اللغة وما بعد اللغة، وإنما أن نحيا تجربة اللغة بحيث تعبر عن نفسها بنفسها كما سيأتى بيانه تفصيلاً. كما أشار

---

(1) Heidegger, M.: "Das Wesen der Sprache -Unterwegs zur Spache", S.150- 151.

(٢) عبد الغفار مكاوى : "نداء الحقيقة" ، ص : ٢٠٦ .

هايدجر إلى العلاقة الوثيقة بين اللغة والفن إذا أردنا أن ندرك اللغة إدراكاً حقيقياً ؛ ذلك أنه ثمة علاقة وثيقة بين اللغة وانكشاف الموجودات ، ونحن لانصل إلى هذا الانكشاف إلا إذا تخلصنا من المفهوم الدارج للغة بوصفها وسيلة للاتصال والتعبير ؛ فاللغة هى التى تحقق للموجود الانفتاح "بتسمية" الموجودات لأول مرة عن طريق "الكلمة" ، فتحقق لها الظهور ، وتتركها كى توجد[1] .

وإذا كانت الحقيقة عند هايدجر "إنارة وحجب" للموجودات بما هى كذلك ، فإن الحقيقة "تحدث" عندما تتخذ صورة الشعر ؛ "فكل الفن شعر" عند هايدجر[2] كما سبق بيانه .

والشعر هنا Dichten- Poetizing لايعنى فن الشعر بمعناه الضيق Poesie- Poetry ، وإنما هو الأساس الذى تجد فيه الفنون بأسرها ماهيتها، وبفضل الماهية الشاعرية للفن ، يصبح الفن قادراً على الانفتاح على العالم وموجوداته بطريقة لم نألفها من قبل[3] .

والشعر عند هايدجر هو جوهر الفنون ، لأن الشعر "لغة" واللغة هى أداة الإنسان لإظهار المحتجب أو هى تجلى الآنية فى العالم الخارجى أو هى مظهر لتفتح الوجود أو ظهور الحقيقة ، وهايدجر هنا يفهم "الشعر" بمعناه الواسع الذى يرجع إلى الأصل الاشتقاقى للكلمة اليونانية ، وهو "الإنشاء أو الإبداع أو الخلق" ؛ فهو حينما

---

(1) Kockelmans, J.J.: "Heidegger , On Art & Art Works..", P. 188-189.

(2) Kockelmans, J.J.: "On The Truth of Being, Reflections On Heidegger's Later Philosophy" Indiana Uni-Pres, Bloomington, 1984, P.196.

(3) Ibid .

يقرر أن سائر الفنون ترتد إلى الشعر ، فإنما يعنى أن كل الفنون إنما تنطوى على عملية إبداعية ، يحاول فيها الفنان أن يجعل من "الظاهر" تعبيراً عن "الباطن"[1] .

ومن ناحية أخرى أشار هايدجر إلى أن فلاسفة ما قبل سقراط -وبصفة خاصة أنكسيمندر ، وبارمنيدس، وهيرقليطس- كان تفكيرهم بمثابة "شعر أصلى" genuine Poetizing أو أن فكرهم قد اتخذ طابعاً شاعرياً نجده فى المأساة الأغريقية على سبيل المثال[2] .

كما أشار هايدجر فى محاضرة ألقاها فى عام ١٩٣٧م حول فكر نيتشه إلى أن التفكير الفلسفى فى حد ذاته يحمل سمة شاعرية ، كما أن عمل الشاعر يشبه عمل المفكر ومع ذلك فهو ليس فلسفة ، بينما تشبه الفلسفة الحقيقية بصورة ما عمل المفكر وعمل الشاعر معاً[3].

---

(١) زكريا إبراهيم : "فلسفة الفن فى الفكر المعاصر" ، سلسلة دراسات جمالية (١) ، مكتبة مصر، الفجالة ١٩٦٦م ، ص : ٢٧١ - ٢٧٢ .

(2) Kockelmans, J.J. : “ Heidegger, On Art ...”, P. 195 .

(3) Ibid, P.196 .

الفصل الأول

أنطولوجيا الكلمة عند هايدجـر

"مثال : قصيدة الكلمة لشتيفان"

جئورجه George,S.

قدم هايدجر تفسيراً أنطولوجياً للكلمة فى ضوء تحليله لقصيدة "الكلمة" لشتيفان جئورجه كما سيأتى بيانه تفصيلاً .

أما عن "جئورجه" (١٨٦٨ - ١٩٣٣م) فقد ولد فى بودسهايم **Büdesheim** فى مقاطعة "هسن"، درس الفلسفة ، وتاريخ الفن ، وعلم اللغة فى باريس وميونيخ، وبرلين وفيينا . إتصل فى ربيع ١٨٨٨م بحلقة الأدباء والفنانين الذين التفوا حول الشاعر الفرنسى الكبير "مالارميه" ، كما تعرف على الشاعر "فيرلين" ، والمثال "رودان" ، وانضم إلى جماعة الرمزيين . أسس مدرسة أدبية خاصة تُدعى **"The George - Kreis"** وكان من أعضائها عدد من مشاهير الكتاب ، ومنهم هوفمان شتال **HofmannsTahl** ، وفريد ريش جوندولف **Gundolf, F.**، ونوربرت فون هيللنجراث **Hellingrath**، وأسهموا فى مجلة "صحائف الفن" **Blätter für die Kunst** التى تأسست فى عام ١٨٩٢م .

جمع حوله طائفة من صفوة العلماء والشعراء والفنانين يربط بينهم نوع من التقدير لشخص الشاعر بلغ حد التقديس ، ومنهم "زمل" و "كلاجيس" من فلاسفة الحياة ، و"كوميريل" و "سالين" من النقاد .

ويعد "جئورجه" رأس الحركة الرومانتيكية الجديدة فى ألمانيا ، وقد جمع بين الشعور الأرستقراطى بالحياة ، وإرادة البطولة والعظمة ، وبين لون من عبادة الجمال متأثراً بالأدب الكلاسيكى القديم وأدب عصر النهضة ، ورأى فى "الفن من أجل الفن" ، يؤمن برسالة الشاعر الإلهية ، ويبعده عن العالم وشتى العواطف والإنفعالات المتطرفة .

وقد تميز "جئورجه" بطريقة جديدة فى الكتابة تستغنى عن التنقيط كما تسقط رسم الحروف الكبيرة التى اعتاد الألمان أن يبدأوا بها الأسماء وأوائل الجمل، ويمكن القول بأنه مسئول بصفة رئيسية عن نهضة الشعر الألمانى قرب نهاية القرن التاسع عشر . وتمثل السنوات الخمس من ١٨٩٠ - ١٨٩٥م "مرحلة الشكل" فى حياة الشاعر ؛ فقد اهتم باختيار الكلمة النبيلة وإحكام الشكل ، ورقة الوزن، ومعاداة كل ما هو تقليدى أو صارخ أو وضيع مما جاءت به النزعة الطبيعية فى الأدب ، لذا توثقت صلته بالمدرسة الرمزية الفرنسية، وأصبح من أكبر المنادين "بالفن للفن" المجرد من كل هدف أخلاقى أو اجتماعى . لغته محسوبة مختارة تغلب عليها نغمة الإحتفال إلى حد الجمود، وصوره نبيلة غنية بالمؤثرات الموسيقية ، والتعبيرات الشعورية[1] .

إنتقل إلى "المرحلة الكلاسيكية" من عام ١٩٠٣م وما بعدها، وفيها استغرق فى تأملات ميتافيزيقية وصوفية ، وراح يدعو إلى عقيدة تربوية جديدة، وأخلاق قائمة على المثل الأعلى فى الجمال ، وصار شعره فى هذه المرحلة أكثر تحرراً وبساطة وصدقاً . وحاول أن يوثق صلته بالرأى العام ، ويحقق فى نفسه المثل الأعلى للشاعر القديم الذى كان يعد نفسه رسولاً، وقائداً، وعرافاً يبشر بمستقبل جديد ، ومملكة روحية جديدة ؛ مما أغرى النازيين بمحاولة استغلاله، والزعم بأن "رؤيا الشاعر" قد تحققت فى دولة الرايخ الثالث ، وفى عام ١٩٣٣م هاجر إلى سويسرا إحتجاجاً على النازيين الذين أساءوا تفسير شعره، وحاولوا أن يستغلوه لصالحهم .

أثر تأثيراً بالغاً على الحياة العقلية فى ألمانيا من عام١٩١٤- ١٩٣٣م ؛ حيث

(١) عبد الغفار مكاوى : "ثورة الشعر الحديث - من بودلير إلى العصر الحاضر" ج ٢ - الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢م ، ص : ٣٨٠ - ٣٨١.

أسس مدرسة شعرية كانت فى حقيقتها دعوة إلى عبادة الفن، والتضحية بكل شئ من أجله ، وله ترجمات قيمة عن الرمزيين الفرنسيين، وجماعة الأدباء الإنجليز السابقين عل شكسبير ودانتى . أما عن مؤلفاته فتشتمل على ثمانية عشر جزءاً ، ونُشرت الأعمال الكاملة له فيما بين عامى ١٩٢٧- ١٩٣٤م ، وتضم خمسة أعمال مترجمة ، ومؤلف نثرى واحد[1] .

ومن أهم مؤلفاته الشعرية : "أناشيد **Hymnen** فى عام ١٨٩٠م، والخاتم السابع **Der siebente Ring** فى عام ١٩٠٧م ، والمملكة الجديدة **Das Neue Reich** فى عام ١٩٢٨م ، ويتضح فى هذه المؤلفات تطوره الروحى إبتداءً من الشك والبحث عن الذات إلى دوره بوصفه قائداً لمجتمع جديد، ولقد وجد مثالاً يحقق معركته من أجل التميز فى ماكسيميليان كرونبرجر **.Maximilian K** (١٨٨٨م- ١٩٠٤م) وهو فتى وسيم موهوب التقى به فى ميونيخ فى عام ١٩٠٣م ، وكان يبلغ من العمر خمسة عشر عاماً، مات فى عام ١٩٠٤م ، فكان ذلك بداية تجربة دينية وعاطفية شاذة أثرت على شخصية وإنتاج الشاعر الذى رأى فى هذا الشاب تجسيداً للجمال الإلهى ، وأوضح موقفه منه فى "ماكسيميليان - كتاب للذكرى" **Maximilianein Gedankenbuch** فى عام ١٩٠٦م[2].

* * *

---

(١) نفس المرجع ، ص : ٣٨١- ٣٨٢ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٣٨٢ .

وأيضاً : (Cp. Ency. Britannica:: "George, S., Vol. XX, P.218.)

إتخذ هايدجر من قصيدة "الكلمة" لجئورجه مثالاً لتوضيح مفهومه الأنطولوجي من اللغة يقول في هذا الصدد :

"... ولكن متى تحدث اللغة بوصفها كذلك ؟ ... عندما لانستطيع العثور على الكلمة الملائمة للتعبير عن شئ هو موضع اهتمامنا .. فنغوص للحظات فيما تثيره اللغة فينا من حيث ماهيتها الأساسية . ولكن عندما نعبر باللغة عن شئ لا يمكن الحديث عنه، فإن كل شئ يعتمد على اللغة ، وعلى ما تمنحه أو تحجبه الكلمة .. ذلك هو الحال مع الشاعر .. فالشاعر يدخل في تجربة مع اللغة بطريقة شعرية ، ومن أمثلة ذلك قصائد شيتفان جئورجه ، ومنها قصيدة بعنوان "الكلمة" The Word - Das Wort ، ونُشرت لأول مرة في عام ١٩١٩م ، وفيما بعد نُشرت في ديوان "المملكة الجديدة" للشاعر"[1].

يرى هايدجر أننا إذا أردنا التفكير في ماهية اللغة ، فإن اللغة يجب أن تتحدث بنفسها إلينا[*] ؛ فنحن في الواقع نترك اللغة لتتحدث إلينا ، وتعبر عن ماهيتها ، وأنه يمكننا التعرف على هذه الماهية من خلال التجربة الشعرية مع اللغة[2]، وهو تحقيقاً

(1) Heidegger, M. : "Das Wesen der Sprache ime Unterwegs zur Sprache", S.151-152.

(*) "Die Sprache miuss auf ihre Weise sich Selber ihr Wesen uns zusprechen" - "Language must in its own way, avow to us itself- its nature" .

(2) (Heidegger, M.: "Das Wesen ..", S.170).

لهذا الهدف إتجه إلى قصيدة "الكلمة" لجئورجه ليتعرف على علاقته باللغة .

تقول قصيدة "الكلمة" :

معجزة من بعيد أو حلماً

جلبته إلى طرف بلادى

وانتظرت حتى تجد ربة القدر المظلمة (الجرمانية)

فى نبعها اسماً تضفيه عليه

عندئذ أمكننى أن أقبض عليها بقوة

وهى الآن تزدهر وتسطع نافذة فى عظامى

وقديماً حركنى الشوق إلى رحلة طيبة

ومعى جوهرة ثرية ورقيقة

فتشت طويلاً ثم جاءتنى بالخبر

"لاشئ هنا يرقد فى الأعماق"

هنالك أفلتت من بين يدى

وماكسبت بلدى الكنز أبداً ..

فتعلمت وقلبى محزون هذا الزهد :

إن تنكسر الكلمة لايوجد شئ [1][*].

(١) عبد الغفار مكاوى : "نداء الحقيقة" ص : ٢٠٧- ٢٠٨ .

(*) Das Wort The Word

أ - تحليل هايدجر للقصيدة :

تتحدث القصيدة فى أبياتها الستة الأولى عن قوة الشاعر وقدرته : فهو يملك موهبة الرؤية ، والبصر بشكل مدهش ، وربة القدر فى الأساطير الجرمانية هى التى تهب رؤيته "الإسم" نعمة منها وهدية. و"الكلمة" هى التى تظهر الموجود أمام الشاعر أو أمام سائر الأشخاص ، كما أن "الأسماء" هى التى تمكنه من الاحتفاظ برؤاه ، كما تساعد هذه الرؤى على التفتح والازدهار حيث نبلغ قمة الفعل الشعرى تأكيداً لما جاء فى البيت السادس من القصيدة : "وهى الآن تزدهر وتسطع نافذة فى عظامى"،

Wunder von ferne oder traum
Brach ich an meines landes saum
Und harrte bis dig graue norn
Den namen fand in iherm born-
Drauf konnt ichs greifen dicht und stark
Nun blüh und glänzt es durch die mark...
Einst langt ich an nach guter fahrt
Mit einem kleinod reich und zart
Sie suchte lang und gab mir kund:
"So schläft hier nichts auf tiefem grund"
Worauf es meiner hand entrann
Und nie mein land den schatz gewann...
So lernt ich traurig den verzich :
Kein ding sei wo das wort gebricht

Wonder or dream from distant land
I carried to my country's strand
And waited till the twilit norn
Had found the name within her bourn-
Then I could grasp it close and strong
It blooms and shines now the front along..
Once I returned from happy sail,
I had a prize so rich and frail,
She sought for long and tidings told;
"No like of this these depths enfold".
And straight it vanished from my hand,
The treasure never graced my land...
So I renounced and sadly see:
Where word breaks off no thing may be.

والشاعر يشير هنا إلى أن "الأسماء" هى التى تحضر الأشياء وتمدها بالوجود والبقاء .

أما فى الأبيات الستة الأخيرة فالشاعر يحدثنا فيها عن تجربة مختلفة؛ فقد رجع من رحلته الطيبة ، ومعه شئ قريب: جوهرة ثرية ورقيقة، ربما كانت هى التى تظهر وجود الشاعر نفسه ، والجوهرة شئ غال ونفيس، أو هى موجود من نوع متميز[1] .

وجدير بالذكر أن نقطة إنطلاق هايدجر فى تفسيره للمفهوم الانطولوجى للغة في ضوء قصيدة "الكلمة" لشتيفان جئورجه إنما تبدأ من نهاية القصيدة، وبصفة خاصة من البيتين الأخيرين :

وتعلمت وقلبى محزون هذا الزهد

إن تنكسر الكلمة لايوجد شئ[*]

ذهب هايدجر إلى أهمية البيت الأخير من القصيدة ؛ لأنه يجعل اللغة تحدث بوصفها كذلك، كما يفصح عن العلاقة بين الكلمة والشئ"[2]، فإنكسار الشئ إنما يعنى الافتقار أو الافتقاد[*] ، فلا يوجد شئ عندما نفتقر إلى الكلمة .

ب- "الكلمة - الشئ" فى القصيدة :

أشار هايدجر إلى أن المعجم اللغوى تحتشد فيه الكلمات ومع ذلك فهو

---

(١) نفس المرجع ، ص : ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(*) "Kein Ding sei , Wo das Wort gebricht,Where Word breaks off, nothing may be".

(2) Heidegger, M.: "Das Wesen der Spache ... S.153.

(*) Es gebricht heisst : es, fehlt .

لايعرفنا ما الكلمة ، وأن التجربة الشعرية مع الكلمة[1] قد تفيدنا فى هذا المضمار: فالكلمة فى القصيدة هى التى "تسمى" الشئ ، ولكن ماذا تعنى التسمية -Nennen to name يمكن القول بأن التسمية هى أن نزود شيئاً ما باسم ، أما الاسم فهو علامة أو إشارة صوتية أو مكتوبة ، أو شفرة Chiffre - cipher ذات مغزى معين، وكل شئ يعتمد على الطريقة التى نفكر من خلالها فى معانى كلمات مثل "علامة" Zeichen - sign أو "اسم" Namen - name فإذا انتقلنا إلى قصيدة جئورجه: "الكلمة" وجدنا -وفقاً لوجهة نظر هايدجر - أن القصيدة تضع فى الاعتبار "الإسم" حيث جاء فيها ما يلى:

وانتظرت حتى تجد ربة القدر المظلمة

فى نبعها اسماً تضفيه عليه

ومع ذلك فإن صاحبة هذا الاسم (ربة القدر) ، والمكان الذى وُجد فيه الاسم (نبعها) يجعلنا مترددين فى فهم الإسم بوصفه مجرد علامة[2] ، بحيث يمكن القول بأن مصطلحى "الإسم" و "الكلمة" فى قصيدة جئورجه يختلفان تماماً عن كونهما مجرد علامة ؛ بل يذهبان إلى أبعد من ذلك بكثير[3] ، وأنه ينبغى أن ندرك مغزاهما العميق فى ضوء البيت الأخير من قصيدة "الكلمة" الذى يؤكد هايدجر مراراً على أهميته :

إن تنكسر الكلمة لايوجد شئ

وهو البيت الذى قام هايدجر بإعادة صياغته فى صورة نثرية حينما قال: لاشئ

(1) Ibid., S.181.

(2) Ibid., S. 153 .

(3) Ibid., S. 161 .

يوجد حينما نفتقر إلى الكلمة ، أى فى حال غيابها .

ويلاحظ أن الشئ Ding- thing فى هذا السياق يُفهم بالمعنى الواسع للكلمة بوصفه كل ما يوجد، ونحن نعثر على الكلمة المعبرة عن الشئ عندما يصبح الشئ شيئاً فحسب[١] .

يتبين لنا مما سبق أنه فى تفسير هايدجر لقصيدة جنورجه تأكيداً على أنه لاشئ يوجد حينما تغيب الكلمة أو الاسم[*] ، فالكلمة وحدها تمنح الوجود للشئ، أو بعبارة أخرى : الشئ يوجد فقط عندما تسمى "الكلمة" الشئ بوصفه موجوداً : أى أن أى شئ موجود "يسكن" أو يجد "مستقره" فى الكلمة، وبذلك تصبح العبارة التالية لهيلدرلين : "اللغة بيت الوجود"[**][٢] .

ويمكن القول إن قصيدة جنورجه عن "الكلمة" لاتقتصر على القول بأن هناك علاقة بين الشئ (الموجود) والكلمة ؛ بل تزيد عليه أن "الكلمة" هى التى تساعد الشئ على الوجود ، وتحفظه ، فهى التى تجعل الشئ شيئاً، وهىالتى "تمكن" الموجود من الوجود . وتكفله له[٣] .

ذهب هايدجر فى كتابه "شروح لقصائد هيلدرلين" أن الشعر هو "التسمية" التى تؤسس الوجود ، وماهية سائر الأشياء ، بحيث تكون "الكلمة" فى القصيدة هى

(1) Ibid., S.154 .

(*) "Kein Ding ist, Wo das Wort, d.h. der Name fehlt, Nothing is where the word, that is, the name is lacking" .

(**) Die Sprahe ist das Haus des Seins - Language is the house of Being .

(2) Ibid, S.155- 156 .

(٣) عبد الغفار مكاوى : "نداء الحقيقة" ، ص : ٢١١-٢١٢.

تلك العلاقة التى تجعل كل شئ حاضراً فى الوجود ، وباقياً فيه. وإذا لم تكن "الكلمة" تحمل على عاتقها وجود الأشياء بل والعالم Welt- world ، فسوف تغوص فى الغموض والإبهام بما فى ذلك الذات التى تتحدث فى القصيدة ؛ تلك الذات التى تجلب إلى بلدها ، وإلى منبع الأسماء كل المعجزات والأحلام التى تصادفها[1].

وجدير بالذكر أن "الكلمة" لاتدخل فقط فى "علاقة" مع الشئ الموجود. وإنما هى أول ما يحقق الحضور (الوجود) لذلك الشئ؛ أى أن "الكلمة" هى التى توجد الشئ هناك، وتدخل فى علاقة معه، وتهبه الحضور بوصفه شيئاً أياً كانت الطريقة التى يوجد بها سواء فى صورة المعجزة المستحيلة المنال أو الحلم فى البلاد البعيدة كما جاء فى القصيدة[2] .

أضاف هايدجر أن "الكلمة" عندما تتحدث بما هى كذلك لاتكون شيئاً، ولا تكون موجوداً مثل سائر الموجودات ؛ ولايعنى ذلك أنها "عدم" لأنها "تمكن" الشئ من الوجود ، إذ أن ما يهب الوجود لايكون فى حد ذاته موجوداً؛ بل أكثر الموجودات وجوداً .

إذن "الكلمة " ذاتها ليست شيئاً ؛ فلقد سأل الشاعر "ربة القدر" أن تمنح الكلمة من أجل الكلمة ذاتها ، ولكن ربة القدر تخبره بأنه "لاشئ" هنا يرقد فى الأعماق، ويعنى ذلك أن "الكلمة" كما يفسرها هايدجر هى لاشئ ، وليست موجوداً من

---

(1) Heidegger, M. : "Das Wesen der Sprache ..", S.166.

(2) Ibid, S.177- 180 .

الموجودات ، ولكنا ندرك الأشياء عن طريق الكلمة ، وعندئذ فقط يوجد الشئ[1] .

يتساءل هايدجر في هذا الصدد عن معنى -فعل الكينونة- "يوجد" ist-is في البيت الأخير من القصيدة : *"إن تنكسر الكلمة لايوجد شئ"* ويرى أن هذا الفعل لايمكن العثور عليه شيئاً ضمن سائر الأشياء ، أى أنه لاينتمى إلى عالم الأشياء الموجودة مثله في ذلك مثل "الكلمة" ؛ ومع ذلك فلا يمكن لفعل الكينونة "يوجد"، ولا للكلمة وقولها أن يكونا في ضوء العدم Nichtigkeit- nothingness ، إن التجربة الشعرية مع الكلمة تشير إلى ماهو معطى ، ومع ذلك فهو أى (الكلمة) ليس موجوداً[*] [2].

يقول هايدجر في نص هام :

> **" ... إذا فكرنا تفكيراً صحيحاً ، فلن نقول أبداً عن الكلمة إنها توجد، وإنما إنها تهب .. فالكلمة ذاتها تعطى[**]، والكلمة ذاتها هى الواهبة das Gebende the giver ولكن ما الذى تهبه ؟ إنها تهب الوجود[***] وفقاً للتجربة الشعرية" ... إذن تفكيرنا يبحث عن الكلمة ، تلك الكلمة الواهبة التى لايمكن أن توهب .. وبفضل هبة الكلمة يتحقق الوجود .. وماهو جدير بالتفكير فيه "يبقى" ويظهر**

---

(1) Ibid, S.181.

(*) "Sie zeigt solches, was es gibt und was gleichwohl nicht "ist"- It shows what is there and yet "is" not".

(2) Ibid, S.182 .

(**) ... dass Wort selber gibt ... the Word itself gives .

(***) ... Das Wort gibt das Sein - the Word gives Being .

واضحاً لأول مرة"[1].

يتبين لنا من النص السابق أن الكلمة "لا تكون" بالمعنى الذى تكون به الأشياء والموجودات ، ومع ذلك فكينونتها متميزة عن كل الأشياء ، ولهذا لانقول إنها تكون ، وإنما إنها "تعطى" ؛ إنها تعطى بمعنى العطاء والإهداء. وهى تعطى "الوجود" ، وهى لاتعطيه بالمعنى الذى كان مفهوماً فى العصور الوسطى من أن الله أو الكلمة هى التى تخلق الموجود ؛ بل بمعنى "الإنارة" التى تتجلى فيها الموجودات وتظهر دون حاجة إلى خلقها وإيجادها[2].

يختم الشاعر القصيدة بهذين البيتين :

فتعلمت وقلبى محزون هذا الزهد

إن تنكسر الكلمة لايوجد شئ

فما الذى "يزهد" فيه الشاعر ؟ وما الذى تعلمه هنا من جديد ؟

إنه شئ يتعلق بالرأى الذى كان يؤمن به من قبل عن العلاقة بين الكلمة والشئ ؛ لقد تعلم الآن أن "يتخلى" عن هذا الرأى السابق ، "والتخلى" **Verzicht - renunciation** ينطوى فى نفس الوقت على "وعد"؛ فالكلمة تبدو الآن فى ثوب جديد : إنها هى التى تضفى على الشئ وجوده، وتحافظ عليه .

وإذا كان الشاعر هو حارس الكلمة ومدبرها ، وإذا كانت تجربته قد انتهت بالإخفاق ، وإذا كانت ربة القدر قد عجزت عن العثور على كلمة تسمى بها تجربته

---

(1) Ibid., S. 182.

(٢) عبد الغفار مكاوى : "نداء الحقيقة" ، ص : ٢١٣ - ٢١٤.

الجديدة ، فهي ليست تجربة سلبية خالصة؛ فلقد تعلم الزهد والتخلي[*] عن عقيدته السابقة ، لكنه تعلم شيئاً لم يكن يعلمه عن سلطان الكلمة وقدرتها[1] .

فالشاعر لاينكر الكلمة ؛ بل يعود ليشدو أغنية تعبر عن سر "الكلمة" التي في إنكارها لذاتها تقترب من ماهيتها[2] ؛ لأنه في التخلي ذاته ثمة تسمية a command- ein Geheiss أو أمر لم يعد يسمح بالإنكار .

يقول "جئورجه " في قصيدته :

وتعلمت وقلبي "محزون" هذا الزهد

إن تنكسر الكلمة لايوجد شئ

ويرى "هايدجر" أن "الحزن العظيم" يجعل الشاعر "يتخلى" عن المرح العظيم، وأنه عندما يتعلم هذا الزهد يدخل في تجربته بكل ما في الكلمة من سمو وقوة ، ويتلقى معرفة أولية عن المهمة الملقاة على عاتق القول الشعري[**] . وليس بوسع الشاعر أن يدخل في تجربة مع الكلمة مالم يشوب تلك التجربة إنفعال "الحزن" ؛ فالشاعر "حزين" بسبب هذا "التخلي" لأنه يعني الفقدان -aloss

---

(*) أشار هايدجر إلى أن مصطلح الزهد أو التخلي Verzicht- renunciation مشتق من الفعل abdicate - verziehen بمعنى "التخلي" ، وجذور الكلمة لاتينية dicere بمعنى "يوضح" أو "يشير" أو "يدل على" ، والشاعر في التخلي تتحدد علاقته الأولى بالكلمة .

(Cp. Heidegger, M. : "Das Wesen ..,"S. 158.

(١) نفس المرجع ، ص : ٢٠٩- ٢١٠ .

(2) Heidegger, M. : "Das Wesen ..,"S. 153.

(**) dichterische Sage - Poetic Saying .

Verlust ؛ ومع ذلك فليس "التخلى " فقداناً ؛ بل يشير إلى التجربة الشعرية التى تمنحه أكثر الهبات سبباً فى السعادة ، فهذا التخلى يشير إلى الحقيقة التى تعلمها .

يرى هايدجر أن الملاحظات السابقة تكفى لتوضيح التجربة التى يدخل الشاعر من خلالها إلى اللغة ؛ إنها تجربته مع الكلمة ، والتخلى الذى تعلمه يتضمن إعتراف الشاعر بأنه لايوجد شئ عندما تنكسر الكلمة[1] .

جـ- "الكلمة - الجوهرة" فى القصيدة :

يقول جئورجه فى قصيدته :

وقديماً حركنى الشوق إلى رحلة طيبة

ومعى "جوهرة" ثرية ورقيقة

فتشت طويلاً ثم جاءتنى بالخبر

"لاشئ هنا يرقد فى الأعماق

هنالك أفلتت من بين يدى

وماكسبت بلدى الكنز أبداً .."

يتساءل "هايدجر" فى تفسيره للأبيات السابقة عما إذا كانت "الجوهرة الثرية الرقيقة" هى الكلمة ذاتها "[2]، ويلاحظ أن الغموض يكتنف العلاقة بين الكلمة والشئ؛ فالكلمة -كما سبق- ليست شيئاً ، وسر الكلمة يُفلت من بين يدى الشاعر فى اللحظة التى يريد أن يسمى فيها الجوهرة التى يمسك بها بين يديه. وهو لايحدد

(1) Heidigger, M. : "Das Wesen du Sprache in Unter wegs zur sprache", S.157-159 .

(2) Ibid., S.181.

هوية هذه الجوهرة ؛ إنه لايعرفها ، وهو يعترف بذلك فى الأبيات السابقة .

إن تجربة الشاعر مع الكلمة يكتنفها الغموض وتبقى "محتجبة" ، وعلينا أن نتركها كذلك ؛ وكل ما هو مطلوب منا هو أن نتركها لتدخل فى علاقة جوار مع الفكر وهو ما سنبينه تفصيلاً فى سياق البحث(١).

أشار هايدجر إلى أنه حين "تغيب" الكلمة تختفى الجوهرة . وتفلت من يد الشاعر ، وهذا الغياب يشير إلى وظيفة الكلمة ؛ فهى لاتقتصر على إضفاء الإسم على الموجودات ، وليست مجرد يد تمتد بالإسم إلى ما نتصور وجوده: بل هى قبل كل شئ ذلك الذى يهب الوجود ويضفى الكينونة(٢). يرمز الشاعر إلى الكلمة "بالجوهرة" التى يحملها معه ، إلا أن ربة القدر تعجز عن إيجاد إسم لها. ويقترح هايدجر أن تكون هذه الجوهرة هى الكلمة نفسها، وهنا يعرف الشاعر حدوده التى لايصح أن يتخطاها ؛ فهو يفتش فى "وطن الشعر" عن "كلمة تسمى الكلمة" فلا يعثر عليها ؛ لكن الكلمة ليست شيئاً ، ولا جدوى من البحث بين الأشياء عن الكلمة(٣) .

"فلاشئ هنا يرقد فى الأعماق" ، أو بعبارة أخرى لايوجد شئ فى الأعماق ثمين مثل هذه الجوهرة (الكلمة) التى توجد بين يدى الشاعر؛ فالجوهرة الثرية الرقيقة الموجودة فى متناول اليد ليست شيئاً؛ وليست كنزاً بمعنى الإمتلاك الآمن الشعرى للأرض.

---

(1) Ibid., S.172- 173 .

(٢) عبد الغفار مكاوى : "نداء الحقيقة" ، ص : ٢٠٩ .

(٣) نفس المرجع ، ص : ٢١٣ .

إذن يبقى الشاعر صامتاً بإزاء الجوهرة التى لاتستطيع أن تكون كنز بلاده، ومع ذلك فهى تمنحه تجربة مع اللغة كى يتعلم الزهد والتخلى ، وفى هذا الزهد إنكار للعلاقة بين الكلمة والشئ .

وبذلك يمكن القول بأن هذه الجوهرة تقابل المعجزة أو الحلم الآتى من البلد البعيد[1] .

يستخلص هايدجر مما سبق أن الجوهرة -وفقاً لمعناها القديم- إنما تشير إلى "هبة رقيقة ونعمة" تُمنح للضيف أو الزائر ، وأنها هبة من نوع خاص يتلقاها المتلقى بصفته الشخصية . ومع ذلك تبقى سراً من الأسرار[2] يتلألأ ويزدهر. إن "الكلمة من أجل الكلمة"[*] جوهرة بحق ؛ لذا لايمكن أن يفوز بها "وطن الشاعر" ، أى الكلمة الشعرية[**] ، فهل يفوز بها التفكير ؟[3]

يتضح مما سبق أن الشاعر لايصل قط إلى معرفة خالصة بالكلمة، وإنما بالأحرى يصل إلى مدخل العلاقة بين "الكلمة والشئ" ، ويمكن القول بأن "الكلمة" ذاتها هى التى تحفظ الشئ بحيث يكون كذلك ، وتبقى عليه شيئاً بين الأشياء ؛ أى أن الشاعر دخل تجربته مع الكلمة ، وعرف أنها وحدها تجعل الشئ يظهر بوصفه شيئاً ، ومن ثم تجعله حاضراً ؛ وهو بذلك يتعرف على سر قوة الكلمة . والشاعر عندما يجرب نداءه الشعرى[***] بوصفه نداءً للكلمة يبحث عن منبع الوجود ، وهو يحتاج فى ذلك

(1) Heidegger, M. : "Das Wesen der Sprache ...", S.162.

(2) Ibid., S. 173.

(*) Das Wort für das Wort .

(**) Dichterisches Wort - Poetic word .

(3) Ibid., S.181.

(***) Dichterberuf - Poetic Calling .

إلى معجزة تأسره أو أحلام تجذبه إلى منبع اللغة[*] حيث تتوافد عليه الكلمات المعبرة عن معجزته وأحلامه .

إن كلا من "الكلمة – اللغة" ينتمي إلى مجال القول الشعرى[1]؛ فما "يبقى يؤسسه الشعراء "[**] بالكلمة وفى الكلمة على حد تعبير هيلدرلين .

د- الكلمة زهرة الفم :

انشغل هايدجر منذ عام ١٩٣٥م بشعر هيلدرلين فى بحثه عن الحقيقة وانفتاح أفق الوجود من خلال ماهية الشعر، كما أظهر اهتماماً خاصاً بقصائده الغنائية مثل "جرمانيا" Germanien، و"نهر الراين " der Rhein "وخبز ونبيذ Brot und Wein[2] وغيرها .. فى قصيدة "جرمانيا" ذكر هيلدرلين أن "الكلمة زهرة الفم"[***] ، وفى قصيدة "خبز ونبيذ" جاء ما يماثل هذا المعنى فيما يلى :

هكذا الإنسان ، حين تكون الثروة بين يديه

ويؤثره الرب نفسه بالنعم والهدايا

لايفطن إليها ولا يرعاها

عليه أولاً أن يتحمل ويقاسى ،

(*) die guelle der Sprache - the well- spring of Language.

(1) Ibid., S. 159- 161.

(**) "Was bleibl aber , stiften die Dichter - But What endures is founded by Poets".

(2) Langan. T. : "The Meaning .." P.108 .

(***) "Das Wort ist die Blume des Mundes- The word is the flower of mouth".

لكنه الآن يسمى أعز الأحباب إلى نفسه ،

ولابد أن تنفتح "الكلمات" التى تدل عليه

كما تنفتح "الأزهار"[(١)].

وهناك من[(*)] يرى أن أدوات التشبيه فى اللغة -تمثل قطيعة فى الرؤية؛ فلا تكون العبارة عندئذ قولاً أصلياً ؛ ولكن يرى هايدجر بدوره أن هذا النقد لا ينطبق على هيلدرلين بصفة خاصة ؛ ذلك أن عبارة الكلمة مثل زهرة الفم ليس فيها قطيعة فى الرؤية ، وإنما "إيقاظ" لرؤية أكثر عمقاً وشمولاً تعود فيها الكلمة إلى ماهيتها الأصلية أو إلى بدايتها الأولى من حيث قدرتها الفريدة على الإنصات.

ومن ناحية أخرى أشار هايدجر إلى أننا عندما نسمى "الكلمة زهرة الفم"، فنحن "ننصت" إلى صوت اللغة[(**)] ، وهذا الصوت ينبعث من الأرض، ومن القول الأصلى الذى هو نداء الوجود ، بحيث يتجلى ذلك النداء فى سائر الأشياء. ويبدو أن هذا الصوت قد تخلص من منظور التفسير الفسيو-فيزيائى للصوت ، وأصبح يحمل دلالة أنطولوجية خالصة[(٢)] .

---

(١) عبد الغفار مكاوى : "نداء الحقيقة" ، ترجمة ودراسة عبد الغفار مكاوى . ص ٢١٧ .

وانظر أيضاً : عبد الغفار مكاوى : "هيلدرلين " مجموعة نوابغ الفكر الغربى . دار المعارف، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص : ٢٢٨ .

(*) هو جوتفريد بن الشاعر الألمانى المعروف (١٨٨٦- ١٩٥٦) . كتب القصيدة والمقالة والمسرحية والقصة وتميز بأسلوبه الغريب الذى يسخر بالمصطلحات العلمية والطبية والفلسفية وأهتمامهم البالغ بالشكل .

(**) das Lauten der Sprache- Sound of Language .

(2) Heidegger , M.: "Das Wesen der Sprache ..", S.195-196 .

إن "الكلمة" -زهرة الفم كما يسميها هيلدرلين في قصيدة جرمانيا أو "الكلمات" - تنفتح كالأزهار كما جاءت في قصيدته "خبز ونبيذ" إنما هي "الجهة التي تسمح للأرض والسماء ، وتدفق الأعماق ، وقوة الأعالي بأن تتقابل وتتفاعل . وفي هذا التفاعل يتم القرب والإظهار والإحضار : أي يكون الوجود"[1] : فليست اللغة شيئاً تربطنا به علاقة فحسب؛ بل هي "سيدة العلاقات" ومحركة العالم ، وكاشفة الوجود ، وهي التي تعطي وتمنح ، تحفظ وتحمي، وعلى الإنسان أن يسكن في بيتها، ويحرسه ، ويرعاه[2] .

(١) عبد الغفار مكاوي : "نداء الحقيقة" ، ص : ٢١٧ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

تعقيـــب ...

نحاول فى هذا التعقيب الإجابة عن "السؤال الأول" فى البحث: "ما أهم خصائص أنطولوجيا الكلمة عند هايدجر فى ضوء تفسيره لقصيدة جئورجه؟"

يمكن إيجاز خصائص "أنطولوجيا الكلمة" فيما يلى :

الخاصيةً الأولى : أنطولوجيا الكلمة عند هايدجر تهدف إلى "الدخول فى تجربة مع اللغة " بمعنى الإنتباه إلى علاقتنا باللغة والتفكير فى "سكننا فى اللغة". ويتطلب ذلك إلتماس العون من الشعراء ؛ لأن علاقتهم باللغة متميزة ، ولأنهم أقدر من غيرهم على التعبير عن اللغة ، فضلاً عن أن "الدخول فى تجربة مع اللغة" لايعنى القيام بتجارب على اللغة أو جمع معلومات عنها كما يفعل علماء اللغة، وما بعد اللغة ؛ وإنما أن "نحيا تجربة اللغة بحيث تعبر عن نفسها بنفسها".

الخاصية الثانية : لم تعد اللغة عند هايدجر وسيلة للاتصال والتعبير وفقاً لمعناها التقليدى ؛ وإنما أصبحت تحقق للموجود الانفتاح "بتسمية" الموجودات لأول مرة عن طريق "الكلمة" ، فتحقق لها الظهور ، وتتركها كى توجد .

الخاصية الثالثة : "كل الفن شعر" عند هايدجر ، والشعر هنا هو الأساس الذى تجد فيه الفنون جميعاً ماهيتها ، وبفضله ينفتح الفن على العالم وموجوداته بطريقة لم نألفها من قبل ؛ فالشعر إنشاء وابداع وخلق ، ويمكننا التعرف على ماهية اللغة من خلال التجربة الشعرية مع اللغة . وهايدجر فى تحليله لقصيدة "الكلمة" لجئورجه يرى أن اللغة تحدث بوصفها كذلك ، وتفصح عن العلاقة بين الكلمة والشئ وخصوصا فى البيت الأخير من القصيدة كما سبق بيانه .

الخاصية الرابعة : أن "الكلمة" فى قصيدة جئورجه هى التى "تسمى" الشئ ، والشئ هو كل ما يوجد ، ونحن نعثر على الكلمة المعبرة عن الشئ عندما يصبح الشئ شيئاً فحسب ؛ أى أن أى شئ موجود يعثر على "سكنه" و "مستقره" فى الكلمة ؛ لأن "اللغة بيت الوجود" .

"فاللغة" عند هايدجر سيدة العلاقات ، ومحركة العالم ، وكاشفة الوجود، وهى التى تعطى وتمنح ، تحفظ وتحمي ، وعلى الإنسان أن يسكن فى بيتها، ويحرسه ، ويرعاه .

إذن الشعر هو "التسمية" التى تؤسس الوجود ، وماهية سائر الأشياء، بحيث تكون "الكلمة" فى القصيدة هى تلك العلاقة التى تجعل كل شئ حاضراً فى الوجود ، وباقياً فيه .

الخاصية الخامسة : أن "الكلمة " عندما تتحدث بما هى كذلك لاتكون شيئاً ، ولا تكون موجوداً مثل سائر الموجودات ، ولا يعنى ذلك أنها "عدم" ، لأنها "تمكن " الشئ من الوجود، وتكفله له ؛ فما يهب الوجود لايكون فى حد ذاته موجوداً : بل أكثر الموجودات وجوداً ؛ الكلمة -إذن- واهبة الوجود ، ولايمكن أن توهب ، وبفضل هبة الكلمة يتحقق الوجود . والكلمة "لاتكون" بالمعنى الذى تكون به الأشياء والموجودات ؛ ومع ذلك فوجودها متميز عن سائر الأشياء . ولهذا لانقول إنها "تكون" ، وإنما إنها "تعطى" بمعنى العطاء والإهداء . وهى تعطى الوجود بمعنى "الإنارة" التى تتجلى فيها الموجودات .

الخاصية السادسة : أن الزهد والتخلى فى القصيدة لايدل على تجربة سلبية خالصة نتيجة عجز ربة القدر عن العثور على كلمة تسمى بها تجربة الشاعر ؛ فالشاعر

"لاينكر" الكلمة ؛ بل يشدو أغنية تعبر عن "سر الكلمة" التى فى إنكارها لذاتها تقترب من ماهيتها ، وذلك لأن فى التخلى والزهد "تسمية" أو "أمر" لم يعد يسمح بالإنكـار . فضلاً عن أن الشاعر هنا يتلقى معرفة أولية عن المهمة الملقاة على عـاتق القـول الشعرى .

الخاصية السابعة : أن "الكلمة جوهرة" كما يرمز إليها جئورجـه ؛ إلا أن ربـة القدر تعجز عن إيجاد اسم لها ؛ ومع ذلـك فهى تمنح الشاعر "تجربة مع اللغة" كـى يتعلم الزهد والتخلى ، وفى هـذا الزهـد إنكـار للكلمـة بوصفـها شـيئاً كمـا سـبق . والجوهرة "هبة رقيقة ونعمة" من نوع خاص للمتلقى ، وهى مع ذلك تبقى سراً مـن الأسرار .

إذن ، "الكلمة من أجل الكلمة" جوهرة بحق والعلاقة بـين الكلمـة واللغـة تنتمى إلى مجال القول الشعرى ؛ فما يبقى يؤسسه الشعراء بالكلمة وفى الكلمة.

الخاصية الثامنة : أن "الكلمة زهرة الفم" على حد تعبير هيلدرلـين، وفـى ذلـك "إيقاظ" لرؤية أكثر عمقاً وشمولاً تعود فيها الكلمة إلى ماهيتها الأصلية مـن حيـث قدرتها على الإنصات إلى الصوت النابع من أعماق الأرض ، وإلى القـول الأصلـى الذى هو نداء الوجود بما فى ذلك من دلالة أنطولوجية خالصة .

" الكلمة زهرة الفم" عبارة تدل فى رأى هايدجر على أن الكلمة هى الجهـة " التى تسمح لـلأرض والسماء بأن تتقابل وتتفاعل بحيث يتم القرب والإحضار ، أى يكون الوجود .

الفصل الثانى

ماهية اللغة : لغة الماهية

إقترح هايدجر فى محاضرته عن "ماهية اللغة" أن يضيف إلى عنوان المحاضرة علامتى استفهام ليصبح على النحو التالى : ماهية ؟ اللغة ؟[*] ، بحيث تصبح الماهية ومعناها موضع تساؤل فضلاً عن اللغة ؛ وبحيث يصبح السؤال الآن عن طبيعة العلاقة التى تربط بين الماهية واللغة ؟

يرى هايدجر أن السؤال عن اللغة وماهيتها يتيح لكل من اللغة والماهية أن يتجلى لنا[١]، ويعنى ذلك محاولة التمهيد للدخول فى تجربة مع اللغة أو التفكير مع اللغة ، علماً بأن التفكير قبل كل شئ "إنصات" لقول اللغة[٢] ، إستناداً إلى أن الموقف الحقيقى للتفكير ليس وضع الأسئلة وإنما "الانصات" تلبية للدعوة Zusage-grant التى يعبر عنها السؤال[٣] .

أ – ماهية التفكير عند هايدجر

ذهب هايدجر –بناءً على ما سبق – إلى أن التفكير الحقيقى ليس تساؤلاً بقدر ما هو "إنصات" Hören - Listening لما يثيره التساؤل من معنى وأن كل تساؤل يبدأ فى أن يكون كذلك بفضل سؤاله عن الماهية ؛ وأننا إذا نجحنا فى الدخول فى تجربة التفكير مع اللغة ، فإن معنى التفكير سوف يتجلى بوصفه إنصاتاً لنداء الوجود . وإذا كان الحضور الدائم للموجود قد أُعتبر أساس الأساس[**] ، وإذا كان للماهية –على حد تعبير هايدجر– طابع الأساس ، فإن البحث عنها هو بمثابة

(*) "Das Wesen ? der Sprache? The Nature ? of Language ?

(1) Heidegger. M.. : "Das Wesen ..." , S.164.

(2) Ibid., S. 170 .

(3) Ibid., S. 185 .

(**) das Wesende des Wesens- the ground of foundatien .

"تأسيس الأساس"[١].

إن "التفكير الأساسي"(*) عند هايدجر يجب أن يعود إلي الماضي ، وأن يحاول إيقاظه ، وأن يحفظه ، ويرعى لغته الأصلية كسمة للوجود الحقيقي؛ ذلك أن المهمة الأساسية للإنسان في وجوده الحقيقي هي "التفكير" - كما رأى هايدجر في خطاب حول النزعة الإنسانية Brief Über den Humanismus، وهذا التفكير يتجسد عندما نعبر عن الكلمة التي لم تقال بعد في الوجود عن طريق اللغة[٢].

أشار هايدجر إلى أن التفكير الذي ينصب على ماهية محددة هو من حيث الأساس تساؤل[٣] ein Fragen - a questioning وأن تعبير "التفكير الأساسي" الذي ظهر لأول مرة في كتابه ما الميتافيزيقا ؟ "Was ist Metaphysik"? يشير هنا إلى محاولة هايدجر التغلب على الميتافيزيقا بمعناها التقليدي عن طريق التفكير. وفي محاضرته التي عنوانها "البناء -السكن- التفكير"(**) يصف هايدجر "التفكير" بأنه نوع من "السكن والبناء "؛ فالنشاط الأساسي للإنسان هو "السكن " بمعنى الرعاية والحفاظ .. "والتفكير" هو أسلوب من أساليب السكن الذي يهتم "بالأشياء" ، كما أن "السكن" بناء يشير إلى معنى الرعاية والحفاظ"[٤] .

---

(1) Ibid., S.165-169.

(*) Essential Thinking -das wesentliche Denken .

(2) Langan, T.: "The Meaning of Heidegger - Acritical Study of an Existentialist Phemomemology , Rout ledge & Kegan Paul Ltd, London, Great Britain, 1959, P. 112- 114.

(3) Heidegger, M. : "Das Wesen ..", S.165.

(**) "Bauen- Whonen- Denken" - "Building - dwelling - thinking"

(4) Perotti, J.L. ; "Heidegger On The Divine- The thinker, The Poet and God" Ohio Uni . Press, U.S.A., 1974, P. 108.

ومن ناحية أخرى، ميز هايدجر بين التفكير الحسابى التكنولوجى(*) والتفكير الأساسى التأملى؛ ففى عالمنا المعاصر كل شئ يصطبغ بصبغة العلم التكنولوجية ذات الطابع الحسابى ، حيث يكون موضوع المعرفة جزءاً من المنهج Weg- method المستخدم للمعرفة ؛ أما التفكير الأساسى التأملى فمجاله الإنارة - Clearing Lichtung التى تحرر الموجود وتكشف عنه[1].

إن "التفكير الأساسى" هو بحق التفكير فى الوجود" ؛ فهو ينتمى إلى الوجود ، وينصت إلى ندائه ، فالوجود" هو الذى يمكن تفكير الإنسان من أن يكون تفكيراً أساسياً، وهذا التفكير الأساسى يحمل معنى الاهتمام بالوجود والسؤال عنه ، وانتظار ندائه ، وهو بذلك له الأولوية على التفكير الحسابى حيث يحافظ على مهمة التفكير فى حقيقة الوجود[2] : السؤال الأساسى فى فلسفة هايدجر بأسرها .

ويمكن القول فى ضوء ما سبق أن التفكير فى "ماهية اللغة" له أهمية قصوى بالنسبة لتفكير ينشغل بالسؤال عن معنى الوجود[3] . إن التفكير الأساسى(**) عند

(*) das technisch wissenschaftliche Rechnen- technical - scientific calculation.

(1) Heidegger, M. : "Das Wesen ..", S.185- 189 .

(2) Perotti, J.L. : "Heidegger On the Divine ..", P.109.

(3) Kockelmans, J.J. : "Heidegger, On Art..", P.195 .

(**) جدير بالذكر أن التفكير الأساسى عند هايدجر يشير أيضاً إلى الوظائف التالية : يحافظ Schonen ، يصون : hüten ، ويراعى : hegen ، ويعتنى Pflegen . وينتظر : Warten ويترك الموجود ليوجد : lassen . وكلها تقف على طرفى نقيض مع التفكير الحسابى .

(Cp.: Perotti, J.L. : "Heidegger, On The Divine..", Ro. 110.

هايدجر يعبر باللغة عن الكلمات غير المقولة التى تكشف عن الوجود بمقدار ما تصدر تلك الكلمات عن التأمل العميق والصامت الذى ينادى فيه الوجود المفكر .

ويعنى ذلك أنه كلما فسرنا التفكير الأساسى فى ضوء إستجابة "الإنصات – الحديث"(*) ، وكلما كان تلبية لنداء الوجود ، فإنه ينفصل عند هايدجر عن أى اتصال ضرورى بالمنطق أو بمعيار التصور النظرى أو العلمى الذى سيطر على تاريخ الميتافيزيقا التقليدية .

إن التفكير الأساسى "توضيح وكشف" وليس حجة تقام على أسس منطقية؛ إنه بالأحرى يفترض وجود تجربة "باطنية" تعد أساساً لكل تعبير "خارجى" ، وهى التى تجعل ذلك التعبير ممكناً من الناحية الميتافيزيقية ، فضلاً عن أن هذا التفكير يشير إلى "وثبة" Sprung - leap حيث يتم الانفصال فجأة عن التفكير الميتافيزيقى التقليدى ، والإنتقال إلى علاقة الإنتماء بين الإنسان والوجود .

ذهب هايدجر إلى أن الانفصال عن المنطق يعنى أن التفكير "يتجلى" بطرق عديدة، كما أن الحقيقة "تحدث" بصورة مختلفة ؛ فاللغة عندما تعبر تعبيراً حقيقياً عن التفكير ، فهى إنما تجسد المعنى تجسيداً خلاقاً يمتد إلى المستقبل المفتوح ولا تنحصر فى أن تعبر عن قضايا ميتافيزيقية تصور الموجودات بوصفها حاضرة باستمرار .

كما ذهب إلى أن كل تفكير أساسى شعر ، والعكس أيضاً صحيح ؛ مما يعنى إضفاء الطابع الشعرى على حقيقة الوجود فى صورة "شعر أصلى"(**) ، وبذلك يكون التفكير دائماً "على الطريق" Unterwegs- On the Way إلى "الكلمة" التى

(*) a hearing - speaking response .

(**) Primordial Poetry .

هـى القـول الأصلـى أو قـول الوجـود" ، وهـو بذلـك يتجـاوز المفـاهيم التقليديـة للتفكير[1].

يمكـن القـول إذن ، بأن هـذا التفكير "فلسفـى" مـن حيـث طبيعتـه التسـاؤلية، "شاعر" مـن حيـث طبيعـة "اللعـب" فيـه التـى تتخـذ هيئـة المشـروع-Entwurf Project، والكشف عن الموجود الإنسانى الملقى به فـى هـذا العـالم، و"دينـى" مـن حيث حفاظه على حقيقة الوجود ، ورعايته لها[2]، ومن حيث كونه استجابة "إنصات – حديث"، وتلبيـة لنـداء الوجـود[3] ، وتضحية بأنفسنا من أجـل الوجـود ، وثـراء بعـد القداسـة، كمـا أنـه عـن طريـق التفكير الأساسـى نوهـب الوجـود وماهيتنـا ، ونتلقـى الوجود والتفكير بوصفهما هبة ، ونكرس أنفسنا لموضوع التفكير[4] الـذى هـو الوجـود بما هو كذلك .

ب- تفسير العبارة : "ماهية اللغة : لغة الماهية"(*)

ذهـب هـايدجر إلى أن العبـارة الدالـة فـى محاضراتـه عـن "ماهية اللغة" هـى العبارة القائلة : "ماهية اللغة هى لغة الماهية" ، فهى تزودنا بالدليل الأول على ماهية

(1) Gall, R. : "Beyond Theism and Atheism : Heidegger's Significane for Religious Thinking, Martinus Nijhof Publishers. U.S.A. 1987, P.107-112.

(2) Ibid., P.119.

(3) Ibid., P.113.

(4) Ibid., P. 114-115.

(*) "Das Wesen der Sprache : Die Sprache des Wesens" - The Being of Language- The language of Being .

اللغة[١] ، إستناداً إلى أن "التفكير في الوجود" معناه الانشغال "بماهية اللغة"[٢] . ومن ناحية أخرى . فإن هذه العبارة تحول الإنسان من الأعماق؛ إذ أن الماهية في الشطر الأول من العبارة تختلف عن الماهية في الشطر الثاني، ففي "الشطر الأول" تأتي إجابة على السؤال عما هي اللغة ، فاللغة هنا -على حد تعبير هايدجر هي الموضوع الذي نبحث عن ماهيته عن طريق مفهومنا وتصورنا له بحيث نستطيع أن نجيب على من يسألنا "ماهو"[٣] .

ويمكن القول بأن الشطر الأول من العبارة السابقة يرجع بنا إلى الأبيات الستة الأولى من قصيدة "الكلمة" ، وإلى مجال التصور الميتافيزيقي التقليدي[٤] .

يقول هايدجر في شرحه لمعنى العبارة ماهية اللغة : لغة الماهية:

"... إن الشطر الأول من العبارة السابق للنقطتين الرأسيتين يعني أننا سوف ندرك ماهي اللغة بمجرد دخولنا إلى المعنى اللاحق للنقطتين ، وهو المعنى الذي ينفتح أمامنا، ويعبر عن لغة الماهية"[٥].

إن الماهية في الشطر الآخر من العبارة هي التي ستأتي بالتحول المنتظر لأنها ستنقلنا من ميدان التصور الميتافيزيقي إلى مجال الفكر غير الميتافيزيقي والذي يريد هايدجر أن يهدينا إليه . الماهية الآن ليست الإجابة عن سؤال عما هو الموضوع ، لأننا لسنا بصدد موضوع ولاشئ موضوعي ؛ وإنما تفيد معنى "الحفاظ" و "الضمان" و

---

(1) Heidegger, M. : "Das Wesen ..", S.188.

(2) Kockelmans J.J. : "On the Truth of Being" P. 199.

(3) Heidegger, M. : "Das Wesen ..", S.189.

(٤) عبد الغفار مكاوي : "نداء الحقيقة" ، ص ٢١٥ .

(5) Heidegger, M. : "Das Wesen ..", S. 189.

"العطاء" ، فاللغة تهمنا ، وتتصل بصميم وجودنا، وتحركه ، وتمس صميمه ، وتنتمي إلى الماهية التي تحرك وتمنح[١].

يقول هايدجر عن الشطر الثاني من العبارة :

"... الشطر الثاني أكثر من مجرد إعادة ترتيب للكلمات الموجودة في الشطر الأول .. إن الماهية تعني "يدوم" أو يبقى[*] . وما يبقى أو يدوم ... يبقى حاضراً، وهو في ذلك الحضور يهمنا ويؤثر فينا، والماهية على هذا النحو تسمى ما يبقى ، وما يشغلنا بالنسبة لسائر الأشياء لأنها تتحرك ، وتشق طريقاً لكل الأشياء ... إن الشطر الثاني من العبارة : "لغة الماهية" يعبر عن أن اللغة تنتمي إلى هذه الماهية الباقية ، وهي عبارة حقيقية تعبر عن كل ما يؤثر في الأشياء .. إن ما يحرك جميع الأشياء يحركها من خلال الحديث أو الكلام[٢]".

ذهب هايدجر إلى أن "التأمل في ماهية اللغة" إنما يكون "على الطريق" الذي تتجلى فيه علاقة الجوار بين الشعر والفكر، وأن العبارة القائلة بأن ماهية اللغة هي لغة الماهية هي علامة على هذا الطريق . وليست إجابة حاسمة ؛ إنها بالأحرى تدل على ما يحدد علاقة الجوار بين الشعر والفكر بوصفها كذلك . إن الجوار يستقر في القرب ، ويتلقى تعريفه من خلال ذلك القرب[٣] .

---

(١) عبد الغفار مكاوى : "نداء الحقيقة" ، ص : ١١٦ .

(*) währen - weilen (perdure- persist) .

(2) Heidegger, M. : “Das Wesen ...”, S. 190.

(3) Ibid .

ويعنى ما سبق أنه لن يتسنى لنا تجربة اللغة حتى نحس بجوار الشعر والفكر، ونتمكن من السكن فى هذا الجوار[١] .

أشار هايدجر إلى أن الشعر والفكر طريقتان للقول ، وهما من أكثر الطرق تميزاً، وإذا كانت هاتان الطريقتان "للقول" تربطهما علاقة جوار بفضل قربهما من بعضهما البعض ، فإن القرب ذاته يجب أن يتخذ صورة القول .

يقول فى هذا الصدد :

" .. القرب والقول هما الشئ نفسه[*] "[٢]

فإذا نجحنا فى الوصول إلى موضع الالتقاء بينهما ، أمكننا الدخول فى تجربة مع اللغة .

ذهب هايدجر إلى أن العبارة القائلة بأن "ماهية اللغة هى لغة الماهية" يمكن إعادة صياغتها على النحو التالى :

"ما يهمنا من اللغة بوصفها كذلك يتحدد عن طريق القول الذى يؤثر فى كل الأشياء ..."

إذن هذه العبارة تبعدنا عن المفاهيم الجارية عن اللغة وتنقلنا إلى تجربة اللغة بوصفها قولاً[٣] ؛ ذلك أن القرب والقول أسلوبان "للإظهار" ؛ أى أسلوبا "كينونة" اللغة

(١) عبد الغفار مكاوى : "نداء الحقيقة" ، ص : ٢١١.

(*) "Die Nähe und die Sage Wären dann das Selbe- ".. nearness and Saying Would be the same".

(2) Ibid., S.190.

(3) Ibid., S.191.

وإحضارها للموجودات من التحجب إلى النور، وتلك هى ماهيتها[1] .

ويتضح مما سبق أن التفكير فى اللغة من حيث هى كذلك يعنى "الإنتباه إلى قدرة اللغة ذاتها على الانكشاف" على أن نترك الموجودات لتوجد . وبعبارة أدق "الإنتباه إلى الأصل الصامت المعبر عن قدرتها" .

إن اللغة تتحدث(*) لكى تنادى العالم والأشياء إلى ماهيتها، وفى هذا "النداء" تتحقق ماهيتها الفريدة ، فضلاً عن أن اللغة بوصفها نشاطاً لغوياً تكشف عن القول الصامت للوجود مما يعنى أن النقطتين الرأسيتين فى العبارة إن "ماهية اللغة : لغة الماهية" إنما هما رمز للوثبة الضرورية لإنجاز التحول" وبالتالى إدراك ماهية الوجود[2].

جـ- ماهية اللغة : القول الشعرى

أورد هايدجر نصاً لأرسطو يُعد أساس الفهم الكلاسيكى للبناء اللغوى جاء فيه :

".. عملية إصدار الصوت(**) إنما تعبر عن علامة أو إشارة إلى ما يحدث فى النفس Seele - soul فى صورة انفعالات(***)، والكلمات

---

(١) عبد الغفار مكاوى : "نداء الحقيقة" ، ص : ٢١٦ .

(*) Speech speaks - Sprache spricht .

(2) Sallis, J. : "Heidegger And the Path of Thinking", Duquesne Uni. Press, U.S.A., 1970, P.98- 99.

(**) "Stimmlihe Verlautbarung (die Laute)- making of Vocal Sounds" .

(***) Erleidnisse - Passoins .

المكتوبة هى علامات تدل على عملية إصدار الصوت .. وكما أن الكتابة ليست متماثلة لدى الجميع ، فكذلك الصوت مختلف . ومن ناحية أخرى فإن الأشياء التى تدل عليها هذه الأصوات وتلك العلامات المكتوبة تحمل لدى الجميع نفس الانفعالات ، والموضوعات التى تثيرها هذه الانفعالات تؤدى بدورها إلى تصورات متماثلة أيضاً".

علق هايدجر على النص السابق بوصفه أساس الفهم الكلاسيكى لبناء اللغة، حيث تكون اللغة باعتبارها عملية إصدار الصوت جزءاً من ذلك البناء: فالحروف هى علامات(*) على الأصوات، والأصوات(**) علامات على التجارب التى نعرفها بالعقل، والانفعالات التى تحدث داخل النفس هى بدورها علامات على الأشياء ؛ إذن علاقة "العلامات " تؤسس ذلك البناء ، وهى المقياس الذى قامت بناءً عليه كل المفاهيم التالية حول اللغة .

يرى هايدجر أن موقف أرسطو فى شرح ماهية اللغة يمكن أن ينطبق على اللغة فى كل زمان ومكان ، ولايعنى ذلك أن هايدجر يقلل من شأن عملية إصدار الصوت بوصفها ظاهرة فيزيائية : الجانب الحسى من اللغة، فضلا عما يسمى بالمعنى وهو المعبر عن روح اللغة[1] .

كما يرى أن عملية إصدار الصوت(***) يمكن بلا شك تفسيرها من الناحية الفسيولوجية ، مع الإشارة إلى الايقاع(****) فى اللغة ، ومن ثم إلى الصلة بين الأغنية

(*) **Zeichen - Signs .**

(**) **Laute - sounds .**

(1) **Heidegger, M. : "Das Wesen ..", S.192 - 193.**

(***) **Verlantbarung - Vocalization .**

(****) **Rhythmus- rhythem .**

والحديث. والخطورة تكمن فى فهم الإيقاع من منظور الفسيولوجيا والفيزياء أى تكنولوجياً وحسابياً بالمعنى الواسع للكلمة .

ولايشك هايدجر فى جدوى هذا الأسلوب من الناحية العلمية ؛ إلا أنه لايعبر إطلاقاً عن الماهية ؛ ذلك أن خصائص الصوت ، والرنين ، والذبذبة، والمعنى فى اللغة يمكن أن تفيدنا فى التفسير التكنولوجى والميتافيزيقى الذى ينتشر فى كل أرجاء العالم ، ولكنها عبثاً تفيدنا فى معرفة ماهية اللغة(1) .

يقول هايدجر :

".. اللغة تحدث بوصفها قولاً(*) ، ونحن لانلتفت إلى ذلك الإنصات ، وإذا لم نستمع إليها فى كل مكان، فلن يمكننا أن نستخدم كلمة واحدة من اللغة ، فالماهية الأساسية للغة تظهر لنا من خلال ما يقال ، ولكن لايمكننا أن ننصت لهذه المعرفة الأساسية إنصاتاً حقيقياً"(2).

ذهب هايدجر إلى أن العلاقة بين الوجود والقول(**) إنما تعبر عن نفسها من خلال اللوجوس Logos- logos ، وأن اللوجوس يعبر عن الوجود والقول فى الوقت نفسه ؛ إلا أنه حتى هذه اللحظة لم تتم تجربة تفكير واحدة مع اللغة، بمعنى أنه لم يتم التعبير عن اللغة بما هى كذلك وفقاً لهذه العلاقة . ويمكن تفسير ذلك بأن "ماهية اللغة" لا تتجلى من خلال الكلمات كما هى الحال مع "لغة الماهية" ؛ بل إن

(1) Ibid., S. 194.

(*) "Die Sprache West als ein Zuspruch -Language persists as this avowal".

(2) Ibid., S.170.

(**) Sein - Sagen , Being - Saying .

الماهية الأساسية للغة تحجم عن أن تعبر عن نفسها بالكلمات أى باللغة من خلال العبارات والأقوال ، وأن اللغة عندما تحجب ماهيتها على هذا النحو ، فهى إنما تعبر عن طبيعتها الأساسية[1] .

ولكن إذا كانت اللغة من حيث ماهيتها قولاً ، فما معنى القول ؟ -إن القول عند هايدجر يعنى "التوضيح ، و"الإظهار ، والكشف ، والإنارة ، وتحرير الموجود للانفتاح[*] ، فهو بمثابة "الهبة" التى تكشف وتحجب فى الوقت نفسه، وتحرر موجودات العالم[2] .

إذن، اللغة ليست مجرد أداة للتفاهم ، وإلا ابتعدنا عن حقيقتها وجوهرها؛ إنها هى التى تكفل للإنسان إمكانية أن يظل منفتحاً على الوجود، وبهذا تضمن له أن يصبح موجوداً تاريخياً ، فحيث تكون اللغة يكون العالم .

كما أن اللغة ليست أداة ، وإنما هى "الحدث" الذى يتحكم فى أعلى إمكانات الإنسان ، وماهية الشعر لايمكن على هذا الأساس أن تُفهم بالرجوع إلى ماهية اللغة ، بل العكس هو الصحيح ؛ إذ لابد أن تُفهم ماهية اللغة بالرجوع إلى ماهية "الشعر" نفسه ، لأنه "اللغة الأم" أو اللغة "الأولى" التى تؤسس الوجود بالكلمة. ولكن هذا الشعر لا "يقول" شيئاً عن الأصل ، وكيف يتسنى له أن يُسمى ما لاسبيل إلى تسميته ؟ فليكن الشعر "غناء"[**] ، وليكن فى نفس الوقت فكراً" فيما يقال عن

---

(1) Ibid., S.170- 175 .

(*) المعانى على التوالى : Zeigen , to show- Erscheinen lassen - to make appear, lichten , verbergen, freigebend - the lighting - Concealing - releasing.

(2) Ibid., S.202.

(**) “Dichtung ist Gesang”, Poetry is song .

الأصل[1].

يؤكد ما سبق مالاحظه هايدجر من أن قصيدة "الكلمة" في ديوان "المملكة الجديدة" لجئورجه قد جاءت في الجزء الأخير من الديوان الذى يحمل عنوان "الأغنية" Das Lied - The Song ، والأغنية وفقاً لتفسير هايدجر(*) يشدو بها الشاعر ليس بعد أن توجد ؛ وإنما بالأحرى تبدأ الأغنية في الوجود أثناء الغناء[2].

ومن ناحية أخرى ، فسر هايدجر ماجاء في قصيدة هيلدرلين الغنائية Hymne- hymn وهي بعنوان " إحتفال السلام"(**) على نحو يؤكد العلاقة الوثيقة بين الشعر – الغناء – الحوار.

يقول "هيلدرلين" في بداية المقطع الثامن من القصيدة :

جرب الإنسان الكثير

وسمى من السماويين الكثير

ونسمع عن بعضنا البعض

منذ أن كنا حواراً[3]

يرى هايدجر أن هؤلاء الذين يسمع عن بعضهم البعض هم البشر والآلهة، وأن القصيدة تحتفل بمجئ الآلهة ، وفي هذا المجئ يصبح كل شئ صامتاً، فالأغنية

---

(١) عبد الغفار مكاوى : "شعر وفكر .." ، ص : ٥٠- ٥١ .

(*) تأثر هايدجر في هذا الرأى بهيلدرلين الذى ذهب كما ذهب اليونان إلى أن "الشعر غناء" .

(2) Heidegger, M. : “Das Wesen ..”, S.171 .

(**) Friedenfeier - Celebration of Peace .

(٣) عبد الغفار مكاوى : "شعر وفكر .." ، ص : ٥١ .

ليست الوجه المقابل للحوار(*) ، وإنما تمثل العلاقة الحميمة بالحديث ؛ لأن "الأغنية أيضاً هى اللغة"(**) .

تأثر "جئورجه" بالشعر الغنائى عند هيلدرلين، واقترب شعره تدريجياً من الأغنية، لقد خطا الشاعر بعيداً عن دائرته السابقة دون أن "يتخلى" عن الكلمة لأنه يغنى ، والغناء يظل حديثاً(١) .

بناءً على ما سبق يمكن القول بأن "الشعر والفكر" نوعان مختلفان من القول يهتمان بالشئ نفسه ، ولكن بطرق مختلفة ، وهذا الشئ هو "قول الوجود"(*)(٢) .

والأمر الحاسم فى القول ليس "الحديث" بمعنى "إصدار الصوت" ، وإنما الشعر(٣) ، "فاللغة شعر" كما سبق بيانه ، والشعر "قول " يجمع الموجودات ويتركها لتظهر . ووجود الشعب – كما يرى هيلدرلين – إنما ينبعث من الشعر بوصفه قولاً أصلياً ، فإذا أصاب الوهن هذا القول ، وقع الشعب فريسة العدمية التكنولوجية(٤) .

إن "الشعر" عند هايدجر "يؤسس" سكن الإنسان على الأرض؛ "فالشعر" قول

(*) Gespäch - discourse .
(**) "der Gesang ist Sprache" - Song .. is language .
(1) Heigegger, M. : "Das Wesen .." , S.172.
(***) the Saying of Being .
(2) Kockelmans, J.J. : "On The Truth of Being", P.201.
(3) Halliburtion, D. : "Poetic Thinking- An Approech to Heidegger", The Uni. of Chicago Press, U.S.A., 1981, P.180.
(4) Zimmerman, M.E. : "Heidegger's Confrontation with Modernity- Technlogy, Politics and Art" , Indiana Uni. Press, U.S.A., 1990, P.114.

يكشف عن الموجودات(*) عندما يجئ فى صورة "المشروع" حيث ينفتح على الموجودات والحقيقة والتاريخ(1) ، و "اللغة" هى حدوث هذا القول، وفيه يظهر تاريخ العالم بالنسبة لشعب ما ، ويتم الحفاظ على الأرض .. كما يمهد "القول الأصلى" لما يمكن أن يقال ، وفى الوقت نفسه يحضره إلى العالم ، ومن خلال هذا القول تتحقق المفاهيم الأساسية التى تصف حضور اللغة وانتمائها إلى تاريخ العالم ، وكل شعب تاريخى .

ويعنى ما سبق أن اللغة فى حد ذاتها شعر بالمعنى الجوهرى للكلمة؛ لأنها "الحدث" الذى تنفتح من خلاله الموجودات ، ومع ذلك فاللغة ليست شعراً بالمعنى الضيق للكلمة أى نظماً للشعر **Poesie- Poetry** ، لأن نظم الشعر "يحدث" فى اللغة ، ولأن اللغة تحفظ وتحمى الماهية الأساسية للشعر، كما أن سائر أنواع الفنون "تحدث" فقط من خلال "الانفتاح"(**) الذى يتم عن طريق "القول" و "التسمية" فى اللغة، وذلك الانفتاح هو الذى يوجه كل أنواع النشاط الفنى ، ومع ذلك يظل كل فن مستقلاً وله أسلوبه المتميز فى إظهار الحقيقة(2) .

إن اللغة عند هايدجر "شعر أصلى"(***) ؛ فهى تعبير عن الوجود من حيث هو كذلك بالكلمة ، وفى هذا الشعر الأصلى يعبر كل شعب تاريخى عن الوجود: فالوجود يتوجه بالنداء إلى الإنسان من خلال "القول الأصلى" ، وعلى الإنسان أن ينصت إلى هذا القول ، وأن يحاول الاستجابة إليه إستجابة حقيقية. وهذا القول

(*) The Saying of the non - Concealment of the beings .

(1) Gall, R. : "Beyond Theism ..", P.107.

(**) Erschlossenheit- Openess .

(2) Kockelmans, J.J. : "On Art ...", P.189- 194.

(***) Urdichtung - Primordial Poetizing .

عندما ينادى الإنسان ، يوجه نداءه أيضاً إلى الأشياء والعالم ، وهو يدعو الأشياء بوصفها كذلك لأنها موضع إهتمام الإنسان ؛ كما أنه يحفظها في نور العالم . وعلى الرغم من "القرب" بين العالم والأشياء ، فإنهما مختلفان ، واللغة "تحدث" بوصفها ذلك "الفرق" بينهما ، فتظهر الحاجة إلى وجود الإنسان؛ لأنه ذلك الموجود الذى تنفتح ماهيته على اللوجوس بوصفه "فرقاً " أو "اختلافاً" بين الوجود والموجود فيما يُسمى عند هايدجر "بالفرق الأنطولوجى"(*) .

أما عن استخدام الإنسان للغة فهو يصبح "حقيقياً"(**) فقط عندما يستجيب بحرية للنداء الموجه إليه من الوجود(1)، أو للقول الأصلى بوصفه شعراً.

(*) "Die Ontologische Differenz - the ontological difference .
(**) eigentlich - authentic .
(1) Ibid., P.199- 200.

تعقيـــب ...

نحاول فى هذا التعقيب الإجابة عن السؤال الثانى فى البحث وهو كما يلى :

س٢ : كيف فسر هايدجر ماهية اللغة بوصفها لغة الماهية ؟

فسر هايدجر ماهية اللغة بوصفها لغة الماهية من خلال أمور ثلاثة :

الأمر الأول : أوضح خصائص التفكير الأساسى فيما يلى :

الخاصية الأولى : أن "التفكير الأساسى" ليس تساؤلاً بقدر ما هو "إنصات" لما يثيره التساؤل من معنى ؛ فهو "تفكير فى الوجود" ، وينتمى إلى الوجود وينصت إلى ندائه . وأن كل تساؤل يبدأ فى أن يكون كذلك بفضل سؤاله عن الماهية .

الخاصية الثانية : أن "التفكير الأساسى" عودة إلى الماضى ومحاولة لإيقاظه، والحفاظ عليه ، ورعاية لغته الأصلية كسمة للوجود الحقيقى من حيث أن المهمة الأساسية للإنسان فى وجوده الحقيقى هى التفكير .

الخاصية الثالثة : أن "التفكير الأساسى" نوع من "السكن والبناء" ؛ فالنشاط الأساسى للإنسان هو السكن بمعنى الرعاية ، والحفاظ ، والاهتمام بالأشياء .

الخاصية الرابعة : أن "للتفكير الأساسى" الأولوية على التفكير الحسابى، لأنه يحافظ على مهمة التفكير فى حقيقة الوجود ، وفى ماهية اللغة ؛ فهو يختلف عن تصورات العلم والمنطق التى سيطرت على تاريخ الميتافيزيقا التقليدية.

الخاصية الخامسة : "التفكير الأساسى" توضيح وكشف يفترض وجود تجربة باطنية هى أساس كل تعبير خارجى ، وهو يشير إلى "وثبة" تحقق "التحول" فالانتماء بين الإنسان والوجود .

الخاصية السادسة : "كل تفكير أساسي شعر " والعكس صحيح ؛ مما يعني إضفاء الطابع الشعرى على حقيقة الوجود فى صورة "شعر أصلى" ؛ فهو على الطريق إلى "الكلمة" التى هى القول الأصلى أو قول الوجود .

ونحن عن طريق "التفكير الأساسى" نوهب الوجود وماهيتنا ، ونتلقى الوجود والتفكير بوصفهما هبة ، ونكرس أنفسنا لموضوع التفكير الذى هو الوجود بما هو كذلك

الأمر الثانى : ترتب على تفسير هايدجر لماهية اللغة بوصفها لغة الماهية النتائج التالية :

النتيجة الأولى : أن العبارة القائلة بأن ماهية اللغة : لغة الماهية "تحول" الإنسان من الأعماق ؛ لأن الماهية فى الشطر الأول من العبارة تختلف عن الماهية فى الشطر الثانى منها ؛ ففى الشطر الأول تجيب العبارة عن السؤال عما هى اللغة .

وفى الشطر الثانى تأتى بالتحول المنتظر؛ لأنها ستنقلنا من مجال التصور الميتافيزيقى إلى مجال الفكر غير الميتافيزيقى الذى يقصده هايدجر ؛ فضلاً عن أن الماهية فى الشطر الثانى تفيد معنى "الحفاظ" ، و"الضمان" ، و"العطاء" ، لأن اللغة تتصل بصميم وجودنا وتحركه ، وتنتمى إلى الماهية التى تحرك وتمنح .

كما أن الشطر الثانى يعبر عن أن اللغة تنتمى إلى هذه الماهية الباقية ؛ فما يحرك جميع الأشياء يحركها من خلال الحديث أو "الكلمة" .

النتيجة الثانية : أن العبارة علامة على الطريق إلى اللغة ، وليست إجابة حاسمة عما هى اللغة ؛ فهى تدل على ما يحدد علاقة الجوار بين الشعر والفكر بوصفها

كذلك؛ فالجوار يستقر فى "القرب" ، ويتلقى تعريفه من خلال ذلك القرب .

النتيجة الثالثة : أن العبارة تبعدنا عن المفاهيم الجارية عن اللغة ، وتنقلنا إلى تجربة اللغة بوصفها قولاً ؛ "فالقرب والقول" أسلوبان للاظهار أى أسلوبا كينونة " اللغة، وإحضارها للموجودات من التحجب إلى النور ، وتلك هى ماهيتها .

النتيجة الرابعة : أن العبارة تعنى أن اللغة "تتحدث" لكى تنادى العالم والأشياء إلى ماهيتها ، وتكشف عن القول الصامت للوجود ، والشطر الثانى من العبارة رمز للوثبة الضرورية لانجاز "التحول" ، ومن ثم إدراك ماهية الوجود.

الأمر الثالث : ترتب على تفسير هايدجر لماهية اللغة بوصفها "قولاً شعرياً" ما يلى من نتائج :

النتيجة الأولى : أن اللغة تحدث بوصفها "قولاً" ، ونحن لانلتفت إلى الإنصات إليها ، والقول يعنى "التوضيح" ، و"الإظهار " و"الكشف"، و"الإنارة" ؛ فهو الهبة التى تكشف وتحجب فى الوقت نفسه ، وتحرر موجودات العالم للانفتاح ؛ فاللغة هى التى تكفل للإنسان أن يظل منفتحاً على الوجود ، وأن يكون موجوداً تاريخياً ؛ "فحيث تكون اللغة يكون العالم".

النتيجة الثانية : أن اللغة ليست أداة ، وإنما "الحدث" الذى يتحكم فى أعلى إمكانات الإنسان ؛ وماهية اللغة تُفهم بالرجوع إلى ماهية "الشعر" ؛ لأنه "اللغة الأم" التى تؤسس الوجود بالكلمة .

النتيجة الثالثة : هذا الشعر لايقول شيئاً عن الأصل ؛ فلا سبيل إلى تسميته؛ فهو "غناء" و "تفكير" فيما يقال عن الأصل ، و"الأغنية" ليست الوجه المقابل للحوار ؛

وإنما تمثل العلاقة الحميمة "بالكلام" ، لأن الأغنية أيضاً هى اللغة.

النتيجة الرابعة : أن الشعر "قول " يجمع الموجودات ويتركها لتظهر ، ووجود الشعب ينبعث من الشعر بوصفه "قولاً أصلياً" عندما لايقع فريسة العدمية التكنولوجية .

النتيجة الخامسة : أن الشعر يؤسس سكن الإنسان على الأرض، فهو قول يكشف عن الموجودات ، واللغة هى "حدوث " هذا القول ؛ وهى "شعر أصلى" لأنها تعبير عن الوجود من حيث هو كذلك بالكلمة وفى الكلمة، فضلاً عن أن استخدام الإنسان للغة يصبح حقيقياً عند استجابته "لقول اللغة الأصلى" بوصفه شعراً .

الفصل الثالث

علاقة الجوار بين الشعر والفكر

إذا كان الشعر الحديث يؤكد إنفصال الشعر عن الفلسفة . فإن بعض الدراسات الحديثة في علم الدلالة قد بدأت تصحح هذا الموقف العدائي من الشعر، وتقرب بين المعنى والوجود ، والفكرة والعاطفة ، وتحاول فهم الدور الذى يؤديه المعنى والاعتقاد في الشعر ؛ فالتعبير الشعرى تعبير عميق ينطلق من عبارات عميقة ثرية بالمعانى والدلالات والمفارقات، وتختلف تماماً عن العبارات أو القضايا العلمية والمنطقية المحددة المعانى والإشارات .

إن الفكر والشعر مرتبطان : لأن القصيدة فكرة عيانية مجسدة في كلمات، وإيقاعات وعلاقات وصور ، ولها خصوصيتها النابعة من داخلها، ومن تراثها اللغوى والأدبى ، ومن شخصية صاحبها ومواقفه واتجاهاته المختلفة باعتباره ذاتاً تاريخية تكوّن رؤاها وتجسدها لذوات تاريخية تتلقاها منها[1] . يرى هايدجر تأكيداً لذلك أن الوجود عندما يكشف عن ذاته في حديث الإنسان فإن الكلمات تصبح كلمات حقيقية ، وأن من ينصتون إلى نداء الوجود وحده باعتباره "لوجوس" بوسعهم أن يكونوا أصحاب "الكلمة" الحقيقيين ، وأولئك هم الشعراء والمفكرون ، فاللغة من حيث الماهية حضور الوجود في صورة كلمات أو "لوجوس"[2] .

أ- علاقة الجوار(*) والدخول في تجربة مع اللغة :

تناول هايدجر العلاقة بين الشعر والفكر في مؤلفات المرحلة المتطورة من فلسفته فيما بين عامى ١٩٣٥- ١٩٦٠م حيث تبين له "الإنتماء" بين كليهما، وأيضاً

(١) عبد الغفار مكاوى : "شعر وفكر .." ، ص : ٦٩- ٧٨ .

(2) Kockelmans, J.J. : “On Art...”, P.194.

(*) Nachbarschaft- neighborhood .

"الإختلاف" الذى يتعذر تخطيه[1].

أما عن رأيه بوجود علاقة وثيقة بين الوجود واللغة فقد ظهر بوضوح لأول مرة فى كتابه "مدخل للميتافيزيقا " فى عام ١٩٤٣م، وفيه ظهرت أيضاً العلاقة الوثيقة بين الشعر والفكر وحقيقة الوجود . وفى عام ١٩٤٩م أضاف هايدجر مقدمة إلى الكتاب السابق ذكره، كما أضاف تعديلات هامة للنسخة الأصلية ، حيث ذكر أن كلا من الفكر والشعر ينبعان من التفكير الأصلى[*] ، كما أنه استخدم هذا المصطلح ليشير به إلى ما يسمى فى مقاله عن "عبارة أنكسمندر" باسم "الشعر الأصلى"[**] .

وعلى الرغم من ذلك فإن هايدجر لم يقدم لنا فى كتابه "مدخل إلى الميتافيزيقا " فكرة واضحة عن كيفية التمييز بين الشعر والفكر[2] .

وفيما بين عامى ١٩٣٥م ، ١٩٤٦م رجع هايدجر بصورة منتظمة إلى موضوع العلاقة بين الشعر والفكر ، وخصوصاً فى كتابه "شروح على شعر هيلدرلين" فى عام ١٩٣٦م ؛ ومع ذلك لم يقدم لنا إجابة واضحة حتى ذلك الحين عن كيفية إدراك وجه الاختلاف بينهما[3].

وفى عام ١٩٤٦ كتب دراسة بعنوان "عبارة أنكسمندر" التى نشرت فيما بعد ضمن كتابه متاهات **Holzwege** فى عام ١٩٥٠م ، وفيها أشار إلى أن "الفلاسفة

---

(1) Kockelmans, J.J. : “On The Truth ..”, P.197 .

(*) Originating thinking - das anfängliche Denken .

(**) Original Poetizing .

(2) Ibid., P.198-199.

(3) Ibid., P.198- 199 .

قبل سقراط" قد عرفوا الوجود معرفة خاصة عندما عبروا عنه بالكلمة، وعندما أدركوه في ضوء الفيزيس **Physis** أوالكشف والحقيقة **alètheia** واللوجوس **Logos** . وفي إنصاتهم لنداء الوجود .

وهايدجر يتحدث هنا عن التفكير في الوجود ومن خلاله . وهذا التفكير يماثل "الشعر الأصلي" ، وهو آصل من كل "تفلسف" ومن كل "فن" بما في ذلك "فن نظم الشعر" **Poesie -Poetry** ، وهذا الشعر يجعل من اللغة أمراً ممكناً ، فالتفكير شعر، والتفكير في الوجود طريقة أصلية للشعر أو هو الشعر الأصلي الذى يسبق الشعر، وسائر أنواع الفنون مادامت كل الفنون تتحرك في إطار "لغة الوجود"[1].

إن الفنان في دراسة هايدجر السابقة الذكر يكون شاعراً بقدر ما يكون مفكراً ، فضلاً عن أن العلاقة الوثيقة بين الشعر والفكر تحقق الانفتاح بين المفكرين والشعراء ؛ إلا أن دراسة هايدجر: "عبارة أنكسمندر" لم توضح كيف يمكن إدراك الحوار بينهما[2] .

وعلى الرغم من ذلك فإن هايدجر يؤكد أن تفكير انكسمندر تفكير ذو طبيعة شاعرية أساساً ، لأنه يدعو الكلمة إلى الوجود ، والشاعر تتجلى قدرته الشاعرية كلما خاض في التأمل والتفكير ؛ بل إن كلاً من الشاعر والمفكر يشتركان في مهمة "إحضار الوجود عن طريق اللغة " مما يعد أكثر أنواع النشاط إنسانية من وجهة نظر هايدجر[3].

---

(1) Kockelmans, J.J. : “On Art...”, P.197 .

(2) Ibid., P.197 -198 .

(3) Langan, T.: “The Meaning ..”, P. 110-111 .

وفي عام ١٩٤٧م نشر هايدجر رسالة عن النزعة الإنسانية "Brief über den Humanismus" وفيها قدم فكرة متسقة عن العلاقة بين الشعر والفكر التي شغلت اهتمامه منذ الثلاثينيات من القرن العشرين ؛ ففي هذه الرسالة أكد على العلاقة بين المفكرين والشعراء والوجود ؛ ذلك أنه عن طريق الفكير يتم التعبير عن الوجود باللغة، فاللغة بيت الوجود، والإنسان يسكن في هذا البيت ، والمفكرون والشعراء هم حراس البيت وحماته .

ومن ناحية أخرى ، أوضح هايدجر في "رسالة عن النزعة الإنسانية" كيف أن "التفكير الأصلي " يتداعى عندما يصبح تفكيراً علمياً ، وعندما يتخذ شكل المنطق أو الفيزياء[1] .

وفي محاضرته عن "الأصل في العمل الفني" التي نشرت في كتابه "متاهات" في عام ١٩٥٠م أكد "هايدجر" أن الحقيقة تكشف عن ذاتها بطرق عديدة ، وأن اللغة بمعنى واسع يشمل لغة الموسيقى والشعر هي التي تحضر كل موجود في الانفتاح ، وتؤسس الأساليب التي تنكشف من خلالها الحقيقة؛ ولكن لما كانت اللغة في حد ذاتها شعراً بالمعنى الأصلي للكلمة ، فإن كل تفكير هو بمعنى ما من المعاني يجب أن يكون شعراً[2].

وفيما بين عامي ١٩٣٩م- ١٩٥٣م كتب هايدجر "شروحه على شعر هيلدرلين Erläuterung Zur Hölderlins Dichtung ، وفيها ركز على ماهية الشعر،

---

(1) Kockelmans, J.J. : 'On Art ...", P.198 .

(2) Langan , T .: "The Meaning ..", P.109.

ومهمة الشاعر ، وأشار إلى التماثل الشديد بين الفكر والشعر ونسب إلى الشعر سمات سبق آن نسبها إلى الفكر دون أن يعنى ذلك الخلط بينهما كما سيأتى بيانه تفصيلاً[1] .

وفى عام ١٩٥٩م نشر هايدجر كتابه "على الطريق إلى اللغة" وهو يشتمل على محاضرات ثلاث بعنوان "ماهية اللغة"، وفيه يتناول هايدجر تفصيلاً العلاقة بين الشعر والفكر ، كما يتناول ماهية اللغة ، وهذه المحاضرات هى المحور الذى يدور حوله بحثنا هذا كما سبق أن أشرنا .

يقول هايدجر فى محاضرته عن "ماهية اللغة" :

".. لما كنا نبحث فى معنى طريق الفكر ، فإنه يجب أن نضع فى الاعتبار علاقة الجوار هذه[2] ..ولكى نكشف عن إمكانية الدخول فى تجربة التفكير مع اللغة ، فلابد من أن نبحث عن علاقة الجوار بين الشعر والفكر ؛ إلا أنه ليس لدينا إلا معرفة ضئيلة عن كل منهما؛ ومع ذلك فنحن نعرف الكثير عن الشعر ، وعن الفكر تحت عنوان الشعر والفلسفة .. حيث نطلق إسم الشعر على علاقة الجوار مع اتفكر[3] .. ولكن ما السبب فى أن الحديث عن ماهية اللغة لايحظى باهتمامنا "فى الحياة اليومية" ؟ من الأرجح أن السبب قد يعود إلى أن نوعى القول أى الشعر والفكر لم يتم البحث عن طبيعة علاقة الجوار بينهما "[4] .

---

(1) Kockelmans J.J. : “On Art ..”, P.196.

(2) Heidegger, M. : “Das Wesen der Sprache ..”, S.169.

(3) Ibid., S.174 .

(4) Ibid., S.175 .

يرى هايدجر أننا فى حاجة إلى تفسير معنى علاقة الجوار بين الشعر والفكر، ويشرع لتحقيق ذلك فى شرح معنى كلمة الجار والجوار ، "فالجار" هو من يسكن بالقرب من شخص آخر ، وهذا الشخص الآخر يصبح بدوره "جاراً للشخص الأول . إذن علاقة الجوار هى العلاقة بين شخصين يتخذ كل منهما سكنه ومستقره بالقرب من الآخر ، كما أنها تعبر عن التلاقى بينهما كلٌ فى مواجهة الآخر"[*][1] .

أشار هايدجر إلى أننا قد لانحتاج إلى البحث عن هذه العلاقة مادمنا "نستقر" فيها ، ونتحرك من خلالها .. "إلا أنه" علينا أن "ننتبه إلى هذه العلاقة حيث قد يغفل البعض عن رؤيتها ؛ فنحن لاندرك تماماً كيف تحدث هذه العلاقة، وكيف تكون علاقة من حيث هى كذلك"[2] .

إن الشعر والفكر مرتبطان ؛ ولكن لأنه يحكمنا رأى مسبق قديم بأن الفكر من شأن العقل أو أن التفكير حسابى بالمعنى الواسع للكلمة ، فإن الحديث عن علاقة الجوار بين الشعر والفكر قد أصبح موضع مساءلة وشك[3].

أدرك "هايدجر" أن معظم الفلاسفة يرفضون فكرة "التفكير الشاعرى" لما فى ذلك من مخاطرة ، فضلاً عن أن "التفكير الحقيقى" قد يوجه إليه الإتهام بالنزعة الغنائية فى الشعر .

كما أدرك "هايدجر" أن كثيراً من الشعراء يعترضون على ما يسمى بالتفسير

(*) das Gegen einander - über der beiden" - "The encounter of the two - facing each other" .

(1) Ibid., S.176 .

(2) Ibid., S.177 .

(3) Ibid., S. 163.

الفكرى للقصيدة ، وهو التفسير الذى يقدمه الفلاسفة ، ومن ناحية أخرى أشار إلى أن هناك محاولات للربط بين الشعر والفكر ؛ إلا أنها محاولات سطحية اقتصرت على الرؤية الخارجية للأهمية المنسوبة إلى التفكير المنطقى والحسابى فى الفلسفة، وعبادة العقل ، والتعارض المزعوم بين الفلسفة والشعر[١].

ولكن ما السبب وراء اهتمام هايدجر بعلاقة الجوار بين الشعر والفكر وهو يبحث فى ماهية اللغة ؟ لقد اهتم هايدجر بفهم المعنى الحقيقى للفكر الفلسفى مما أدى به إلى نقد جذرى للفلسفة الغربية منذ أفلاطون ، وللميتافيزيقا الكلاسيكية على نحو خاص . ورأى أن النتيجة المنطقية لتلك الميتافيزيقا منذ أفلاطون وأرسطو وحتى يومنا هذا قد تمثلت فى صدارة العلم والتكنولوجيا[٢].

وأدرك هايدجر أن تجاوز الميتافيزيقا الكلاسيكية إنما يعنى التوقف عن "علمنة الفلسفة" بإضفاء الطابع العلمى عليها . كما أدرك أن هناك صوراً أخرى من التفكير بخلاف التفكير العلمى يمكن أن تعبر عن ماهية التفكير الحقيقى، ومن هذه الصور "الشعر" فى علاقته الأساسية بالفكر . ووجد دليلاً على ذلك من المفكرين العظام فى تاريخ الفلسفة ، من أمثال المفكرين قبل سقراط الذين يتميز تفكيرهم بالطابع الشعرى، وانتهى به المطاف إلى تأملات عميقة حول "ماهية اللغة" . فالشاعر والمفكر كلاهما يهتم باللغة ؛ أى بلغة الوجود وهما فى اهتمامهما هذا يستجيبان إستجابة حقيقية لنداء الوجود[٣]؛ والتفكير فى ماهية "الكلمة" عند الشاعر هو بمثابة التفكير

---

(1) Kockelmans, J.J., : "On the Truth ..", P.201- 202 .

(2) Ibid., P.202.

(3) Ibid.

فى "الوجود" من حيث ماهيته الحقيقية عند الفيلسوف ، أو هو تجاوز الميتافيزيقا[١] الكلاسيكية التى كان محور اهتمامها الموجود وليس الوجود من حيث هو كذلك .

ويتفق "هايدجر" فى الرأى مع هيلدرلين فى قول الأخير بأن "الشعر هو أكثر المشاغل براءة وأشدها خطراً ؛ فهو شكل من أشكال اللعب ؛ يخلق عالمه من الصور والأخيلة بحرية وبلاقيد ، ولكنه يخلقها من "مادة" اللغة، واللغة هى أخطر ما أعطى للإنسان ؛ فيها يخلق ويبدع ، ويقوض ويحطم ، وعن طريقها يرجع من جديد إلى الأم التى لقنته أسمى ما لديها من جوانب الألوهية (الأرض) كما سيأتى بيانه تفصيلاً .

إن الشعر لعب خطر ، لأنه يجمع البشر ويضمهم فى أساس وجودهم، ويشعرهم بالراحة فى ظله ، ويبعدهم عن مشاغل الحياة اليومية وضجيجها .

لكن الشعر يقال بالكلمات ، فاللغة إذن هى مجال "أكثر المشاغل براءة"، وهى فى نفس الوقت أخطر ما وهب للإنسان من خيرات ، لأنها هى الشهادة على انتمائه للموجود بكليته ؛ أى الشهادة على إمكان التاريخ نفسه ؛ وهى كذلك أخطر ما وهب للإنسان ، لأنها تتحمل مسئولية الكشف عن "الوجود" فتشعله حماساً إذا حضر ، أو تملؤه هماً إذا غاب .

يقول هيلدرلين فى ختام قصيدته "ذكرى" "Andenken" :

أما ما يبقى فيؤسسه الشعراء[*][٢] "

---

(1) Langan, T. : "The Meaning of Heidiegger" , P. 109.

(*) "Was bleibt aber, stiften die Dichter" - "What endures, is founded by the poets"

(٢) عبد الغفار مكاوى : "شعر وفكر ..." ص : ٥٠ - ٥٢ .

يرى هايدجر أن العبارة السابقة تكشف عن ماهية الشعر ؛ فالشعر "تأسيس" بالكلمة وفى الكلمة ، وما يؤسسه الشعراء هو ما يبقى ويدوم، وهو يؤسسه حين ينتشل هذا الشئ الثابت من تيار التغير الجارف ، ويستنقذ البسيط من المعقد ، ولابد له أن يكشف الحجاب عن "الوجود" حتى يظهر[1]، ومايبقى "يسمى" كل ماهو موجود حاضر[2] .

إذن القول الشعرى "يؤسس" ما يبقى أى "الوجود" ، ويوقظه ، ويحقق له الحضور ؛ فضلاً عن أنه "يحدد" وجود الإنسان وغيره من الناس لأنه "يحدد" فى أى عالم يجدون مستقرهم[3] .

وجدير بالذكر أن للتأسيس[*] هنا معان ثلاثة : الهبة، الإرساء، والبدء[**]، فالحقيقة التى تظهر نفسها فى العمل الفنى -مثلاً- تظهر فى صورة غير المألوف ، وتحطم الصورة التى درجنا عليها للأشياء ، إذن "تأسيس" الحقيقة يحمل طابع "الهبة" ، وكل من "الهبة والتأسيس" يحملان فى ذاتهما سمة "البدء"؛ علماً بأن كل بداية حقيقية تشتمل فى ذاتها على النهاية ، كما أن البداية تتضمن نزالاً مع كل ما هو مألوف .

إن الفن بوصفه شعراً "تأسيس" بالمعنى الثالث للكلمة ؛ أى أنه "بدء"، ولقد تم

---

(١) نفس المرجع والصفحة .

(2) Halliburton, D., : "Poetic Thinking ..." , P.84.

(3) Kockelmans, J.J. : "On the Truth of Being" , P.206.

(*) Stiften - grounding .

(**) anfangen (beginning) - schenken (bestowing) - gründen (grounding)

هذا التأسيس فى الفن لأول مرة فى الفكر الغربى عند اليونان[1] .

فى كتاب "هيلدرلين وماهية الشعر" عام ١٩٣٦م ذهب هايدجر إلى أفكار مماثلة عندما رأى أن الشعر تأسيس بالكلمة وفى الكلمة ؛ ففى الشعر ينفتح الوجود بحيث تظهر الموجودات بطريقة آصل من أى طريقة أخرى ؛ إنه التسمية الأصلية للمقدس ، ورسل الربوبية كما سيأتى بيانه .

إن الشعر يؤسس ما يسمى الوجود ، كما يؤسس ماهية الأشياء ؛ إنه القول الذى يحقق الانفتاح لكل ما يمكن تناوله بالحديث فى اللغة اليومية[2].

ب- القول والقرب فى علاقة الجوار بين الشعر والفكر :

يقول هايدجر :

"... إذا كان الأمر الهام هو تجربة التفكير[*] مع اللغة، فلماذا كل هذا التأكيد على أهمية التجربة الشعرية[**] ؟ – لأن التفكير بدوره تربطه علاقة جوار بالشعر ، لذا علينا أن نرد الفكر إلى جاره الذى يستقر بدوره فى علاقة الجوار نفسها .. إن الشعر والفكر يحتاج كل منهما إلى الآخر فى علاقة الجوار هذه، ولكن كلٌ بطريقته الخاصة "[3]

ولكن ماهى أوجه الإتفاق والاختلاف بين الشعر والفكر فى جوارهما من

---

(1) Kockelmans, J.J. : “Heidegger, On Art ...”, P.191.

(2) Ibid., P.195.

(*) denkende Erfahrung - thinking experience .

(**) dichterische Erfahrung- Poetic experience .

(3) Heidegger, M. : “Das Wesen der Sprache..” , S.163.

بعضهما البعض ؟

يبدو أنه بمقدار ما تكون اللغة شعراً أصلياً ، فإنهما يرتبطان بعلاقة الجوار بينهما؛ فهما يتفقان فى إهتمامهما "بالكلمة" و "القول" فى اللغة[1] .

يرى هايدجر أن مجال الشعر الذى يتحرك من خلاله هو القول Sage- saying ، وكذلك الأمر مع الفكر ، ونحن عندما نفكر فى الشعر ، نجد أنفسنا فى الحال فى نفس المجال الذى يتحرك من خلاله الفكر ، ومع ذلك لايمكننا أن نقرر بوضوح ما إذا كان الشعر بحق نوعاً من الفكر ، أو أن الفكر نوع من الشعر ؛ وتبقى طبيعة العلاقة بينهما يشوبها الغموض، ومع ذلك فكلما تأملنا فى الشعر والفكر إقترب كل منهما من الآخر سواء إنتبهنا إلى ذلك أم لا؛ ذلك أن الشعر والفكر ينجذب كل منهما إلى الآخر ، لأن كليهما ينتمى إلى الآخر حتى قبل أن تتم المواجهة بينهما .

ومن ناحية أخرى ، فإن الشعر والفكر يتفقان أيضاً فى بعدهما عن التفكير الحسابى ؛ فالعلاقة بينهما تختلف عن العلاقات التصورية التى هى من إبداع العقل .

إن علاقة الجوار هذه تنتشر فى كل مكان حيث نقيم على الأرض، ونسكن إليها ، وهى على طرفى نقيض مع التفكير الحسابى الذى يركز اهتمامه فى حساب الطريقة التى يؤسس بها الإنسان نفسه فى فضاء كونى، هذا التفكير يتخلى عن الأرض Erde- earth بوصفها كذلك، كما أنه يتجه حثيثاً إلى السيطرة على الفضاء الكونى ، وإلى العمليات التكنولوجية التى توظف استخدام الآلات على نطاق بعيد المدى[2] .

(1) Gall, R. : “Beyond Theism ..” , P.108.

(2) Heidegger, M. : “Das Wesen ..”, S.178- 179 .

هذا التفكير -من وجهة نظر هايدجر- يدفعنا إلى الجنون أو إلى عالم يفتقر إلى المعنى ؛ أما إذا اتجهنا إلى علاقة الجوار بين الشعر والفكر لأدركنا أنها وراء "التحول" الذى يحدث لنا فى مجال الوجود الإنسانى[1] ، والعالم ، بحيث نصغى من جديد إلى نداء الوجود .

وعلى الرغم من إتفاق كل من الشعر والفكر من ناحية "القول" . فإنهما يختلفان وفقاً لاختلاف نوعى القول فى كل منهما . الشعر والفكر إذن مختلفان، ومع ذلك فهما متوازيان ، بمعنى أن كلاً منهما يبقى فى مواجهة الآخر ، ويعلو على أسلوبه الخاص فى القول .

الشعر والفكر لاينفصلان إذا كان الانفصال معناه إنعدام العلاقة بينهما، وهما يتقاطعان فى موضع لم يكن من صنعهما ، وفى هذا الموضع تتشكل ماهية علاقة الجوار بينهما[2] .

وإذا انتقلنا مرة أخرى إلى قصيدة "الكلمة" لشتيفان جئورجه ، وإلى المقطع الأخير منها على وجه الخصوص ، فسوف نلاحظ أن جئورجه عادةً ما يكتب كل الكلمات فى قصائده بحروف صغيرة فيما عدا الكلمات التى يبدأ بها البيت الشعرى فى القصيدة ، أما فى قصيدة "الكلمة" ، فإن كلمة واحدة كتبها جئورجه بالرسم الكبير فى منتصف السطر الأخير من المقطع الثانى[*] ، وهى كلمة "القول" -Sage Saying ، وكان على الشاعر أن يسمى قصيدته "القول" ولكنه لم يفعل . إن

---

(1) Ibid., S.179 .

(2) Ibid., S.184- 185.

(*) وانتظرت حتى تجد ربة القدر المظلمة
فى بعضها "اسماً" تضفيه عليه

القصيدة -كما فسرها هايدجر - تتغنى "بالقرب" الغامض من سلطان الكلمة البعيد، فضلاً عن أن شيئاً مختلفاً تماماً يقال فى القصيدة بطريقة جد مختلفة، وأن الشئ نفسه يقال عن العلاقة بين فعل الكينونة "يوجد" والكلمة التى تختلف عن الشئ.

يرى "هايدجر" أننا فى قصيدة "الكلمة" بإزاء نوعين مختلفين تماماً من القول؛ ففى أغنية الشاعر تظهر الكلمة بوصفها معجزة غامضة أما من ناحية الفكر، فنحن نتأمل العلاقة بين فعل الكينونة "يوجد" والكلمة التى ليست شيئاً[1].

ولكن إذا كان "القرب"(*) بين الشعر والفكر نوعاً من "القول"، فإن القرب فى قربه هذا هو فى حد ذاته الحادث(**). ومن خلال هذا الحادث يتجه الشعر والفكر

---

(1) Ibid., S. 180- 184 .

(*) die Nähe - nearness.

(**) Das Eegnis : تُرجمت كلمة Ereignis فى الإنجليزية إلى عدة ترجمات منها appropriation، و Concern، وتعنى : ما يتعلق بالإنسان وينتمى إليه، وتعنى حرفياً التمييز بالعين والرؤية، وهى مستمدة من Con, Cerno اللاتينية، وأحد معانى Cerno هو التمييز والرؤية، ومن ثم تتشابه مع Ereignis اصطلاحياً المشتقة من augen بمعنى يوضح، ومنها Auge أو العين، فتصور er- eigen مستمد أصلاً من النشاط البصرى، أما فكرة الحدوث التى تؤدى معنى هذا المصطلح، فهى تشير إلى الذات وامتلاكها، ويكاد هذا المصطلح أن يشبه المصطلح اليونانى Logos، والمصطلح الصينى Tao من حيث المعنى، ويستخدم بالصيغة المفردة وحسب، ويشير إلى الفرد المتفرد، كما يشير إلى قرب الوجود الشديد منا، وتقربنا من الوجود الذى ننتمى إليه بحيث يمكن القول إن Ereignis تصف المجال الداخلى الذى يتلامس فيه كل من الوجود والإنسان وفقاً لماهية كل منهما ومن خلاله يحقق كل منهما طبيعته الأساسية.

(Cp. Heidegger, M. : "Essays in Metaphysics : Identity & Difference," trans. by Kurt F.Leidecker, Philosophical Library Inc., New York, 1960, P.73, P.27 .

إلى ماهيتهما الحقيقية . إذن حدوث الحادث هو بمثابة "القول" الذى تدين اللغة بماهيتها الأساسية إليه ، وهذا القول لاينتشر فى الفراغ ، وإنما يلتقى بالإنسان ؛ لأن الإنسان يكون كذلك فقط بإنصاته إلى "قول" اللغة، ولأنه فى حاجة إلى اللغة التى يتحدثها(١) .

يتضح مما سبق أن "علاقة الجوار" بين الشعر والفكر تعنى السكن فى القرب(*) ، وأن كلا من الشعر والفكر طريقتان فى القول(**) ، و"القرب" الذى يجمع بين الشعر والفكر معاً فى علاقة الجوار هذه نسميه "بالقول" .

أما عن "القول" فهو يعنى ما يلى : يوضح ، يظهر ، يحرر ، ينير ، يحجب ويهب ما نسميه العالم ، هذه الإنارة وهذا الحجب هما الماهية الأساسية للقول(***) (٢).

وأما عن "القرب" فيرى هايدجر أن "القرب" يحدث من علاقة الجوار. ولكن ما معنى القرب؟ إن الحديث عن القرب يستدعى معنى البعد(****)؛ فكلاهما يقف فى مواجهة الآخر بوصفهما الحدود القصوى للمسافة بين الأشياء، أما عن مقياس الحد الأقصى للمسافة فهو يتحدد عن طريق حساب طول أو قصر المسافة بين الأشياء ، فضلاً عن أن الزمان والمكان هما مقياسان للقرب والبعد من وجهة نظر التصور الحسابى . ولكن من الواضح أن "القرب" الذى تنتمى إليه علاقة الجوار بين الشعر

---

(1) Ibid., S.185.

(*) ".. in der Nähe Whonen -dwelling in nearness .

(**) ...Weisen des Sagens- modes of saying .

(***) ... das lichtend -verhüllende schleiernde Reichen vou Welt ist das wesende im Sagen .

(2) Ibid., S. 188.

(****) Ferne - remoteness .

والفكر تتعذر معرفته أو الدخول فى تجربة معه إذا أدركنا القرب وعلاقة الجوار بطريقة تعتمد على القياس[*][1] . إذن علاقة الجوار والقرب لاتعتمد على العلاقة الزمانية المكانية "Raum- Zeit"؛ فالقرب من حيث ماهيته يقع خارج الزمان والمكان ويستقل عنهما[2].

أشار هايدجر إلى فكرة التغلب على المسافة فى العالم التكنولوجى المعاصر وإلى أنه فى العمل على إلغاء المسافة فى هذا العالم إنكاراً للقرب الذى ذكرناه آنفاً ؛ ففى حالة غياب المسافة يصبح كل شئ مساو للآخر فى سلسلة من الحسابات تشمل العالم بأسره؛ علماً بأن معركة السيطرة على الأرض قد دخلت فى مرحلة حاسمة ، وأن هذه المعركة هى بمثابة رفض للقرب ، واعتراف بالزمان والمكان من حيث كونهما وحدتين للقياس .

يرى هايدجر أن السمة القياسية فى الزمان -المكان تحجب العلاقة بين ماهيتهما وماهية القرب ، وأن هذه العلاقة يتعذر على التفكير الحسابى إدراكها[3]؛ فالقرب ليس قرباً جغرافياً ، يقول هايدجر فى هذا الصدد :

" لنترك القرب يقترب ... لنبحث عنه ... فهو- من ثم- ليس

(*) ذكر هايدجر مثالاً يؤكد هذا المعنى جاء فيه : ربما يكون كوخان ريفيان يفصلهما ساعة من الزمان سيراً على الأقدام عبر الحقول خير مثال على علاقة الجوار ، فى حين أن منزلين فى المدينة قد يواجه كل منهما الآخر فى شارع واحد أو ربما يفصلهما جدار واحد لايعرفان شيئاً عن علاقة الجوار هذه .

(1) Ibid., S.197- 198 .

(2) Ibid., S. 198- 199.

(3) Ibid., S. 200- 201 .

قريباً".

فإذا كان مانبحث عنه قريباً جداً ، فلاحاجة بنا إلى القرب منه. حاول هايدجر أن يتجنب السمة المكانية للقرب بالتأكيد على طبيعته الزمانية، ورأى أن علاقة الجوار هى التى تحافظ على ماهية القرب بوصفه كذلك(1) .

إن ما يميز علاقة الجوار -فى رأى هايدجر- هو مواجهة كل عنصر من عناصر الرباع للآخر(*) ، وهذه المواجهة(**) تنشأ من المسافة بين الأرض والسماء، الإله والبشر فى رباع العالم(***) . ولكى نجرب الوقوف فى مواجهة الأشياء والعالم بهذه الطريقة ،

(1) Halliburton D.: "Poeric Thinking .." P.107 .

(*) "das Gegen- einander - über" - being face to face with one another

(**) استخدم جيته Goethe عبارة "كل فى مواجهة الآخر" ليس فقط فيما يتعلق بالإنسان، وإنما أيضاً فيما يتعلق بأشياء العالم ، وعندما تتم هذه العلاقة ، فإن الأشياء جميعاً يتحقق لها الانفتاح بعضها على البعض الآخر ، ومن ثم يحقق كل منها وجوده .

(Cp :Heidegger, M. : "Das Wesen ..", S.199.)

(***) رباع العالم Weltgeviert - fourfold : يرى هايدجر فى محاضرته "الشئ" أن الشئ يجمع العناصر الأربعة المتمثلة فى الأرض ، والسماء، والفانين ، والخالدين . وأن هذه العناصر تلتقى فى وحدة أصلية تؤلف ما يسمى "بالرباع الفريد" ، ومع ذلك فإن كل عنصر مستقل بذاته متمتع بحرية ، و"الخالدون" هم رسل الربوبية ، من جوهرها الأزلى المقدس يتجلى جوهر الإله لنا، أو يحجب من خلاله عنا ، والفانون" هم البشر ؛ لأن الإنسان وحده الذى يعانى تجربة الموت ما بقى موجوداً على الأرض، وتحت السماء ، وأمام الخالدين . ووحدة العناصر الأربعة نطلق عليها إسم "العالم" ، وعلى الإنسان أن يشعر بهذه الوحدة الأصلية للعناصر الأربعة، وأن يبقى عليها فى الأشياء وذلك هو معنى وجوده ، وسكنه على الأرض .
(قارن : عبد الغفار مكاوى : "مقال ماهو الشئ ؟ فى مدرسة الحكمة" ، دار الكاتب العربى) القاهرة . ١٩٧٠ ، ص : ٢٩٢ - ٢٩٣ .

علينا أن نستنقذ أنفسنا أولاً من الإطار الحسابى للعقل(*) .

أكد هايدجر أن "الحركة" Be- wëgen - movement في صميم رباع العالم تحقق القرب رغم المسافة بين الموجودات، وأن هذه الحركة تمهد السبيل لتجربة مواجهة كل عنصر من عناصر الرباع للآخر ، ويبقى هذا القرب أبعد ما يكون عنا عندما نتحدث "عنه" ، كما أن المكان والزمان كوحدتين للقياس لايمكنهما أن يحدثا "القرب" أو أن يخضعانه للقياس .

يفسر هايدجر ذلك بأنه في حالة تتابع الآنات كوحدات للقياس الزمانى، فإن "الآن" لاتنفتح فى مواجهة الآن الأخرى ، كما أنه فى ذلك التتابع لايمكننا القول بأن "الآن" اللاحقة و"الآن" السابقة ينغلق كل منهما على ذاته ؛ فالانغلاق عند هايدجر لم يزل أسلوباً للمواجهة ، أو بالأحرى لاستبعاد مواجهة الواحد للآخر ، ولكن هذه المواجهة بما هى كذلك تبقى مستبعدة من مفهوم الزمان كوحدة قياس ، والشئ نفسه يقال عن المكان(1) .

جـ- "الشاعر -المفكر" وعلاقة الجوار :

وافق هايدجر على وصف هيلدرلين للعلاقة بين الشاعر والمفكر ؛ "فكلاهما - على حد تعبير هيلدرلين فى قصيدته "باطموس Patmos يقيمان الواحد بجوار الآخر فوق جبلين متباعدين"(2).

(*) das rechnende Vorstellen - the Calculative frame of mind .

(1) Heidegger, M. : "Das Wesen ..", S.199- 200.

(٢) مارتن هايدجر : "هيلدرلين وماهية الشعر " ترجمة فؤاد كامل فى "ما الفلسفة ؟ ما الميتافيزيقا؟ هيلدرلين وماهية الشعر" ، ترجمة فؤاد كامل ، محمود رجب ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٤، ص : ١١٦

وتعنى العبارة السابقة أن بين الشعر والفكر أوجه اتفاق بقدر ما يوجد بينهما من أوجه اختلاف ، أما عن أوجه الاتفاق فتتضح فيما يلي :

أولاً : أن المفكرين العظام قبل سقراط كانوا فى رأى هايدجر من "الشعراء" ؛ لأنهم أول من عبر عن نداء الوجود بالكلمات ، وحاولوا جذب انتباه شعوبهم للتفكير فيه باستمرار بحيث يكون "غير المقول" موضوعاً للتفكير.

ثانياً : أن "النداء الأصلى للوجود" عند هايدجر إنما يتجسد فى صورة شعر أصلى أو تفكير أصلى أو قول أصلى . والإنسان بوسعه أن ينصت إلى هذا النداء وأن يبلغ وجوده الحقيقى اللهم إلا إذا سقط ضحية النظرة التكنولوجية ومن ثم العدمية للعالم[1] .

ثالثاً : ذهب هايدجر إلى أن "المفكرين والشعراء" هم أولئك الذين ينصتون إلى نداء الوجود ، ويستمعون إلى صوته غير المسموع[2] ، كما ذهب إلى أن لاستجابة كل من المفكر والشاعر خاصية "التفكير الأصلى" فى الوجود، وعن طريق الإدراك الكامل للتوتر الكامن فى جذور الهوية والاختلاف فى العالم والوجود ذاته ، فإنهما يصيغان الاستجابة الحقيقية ، وبذلك يصبح الشعر والفكر عن الوجود وبواسطته ، كما يصبحان إنصاتاً إلى الكلمة الصامتة لقول الوجود[3] .

رابعاً : أنهما يتفقان من حيث الغاية ؛ فغايتهما الأخيرة هى العودة إلى الوطن

(1) Kockelmans, J.J. : "On The Truth of Being" , P.206- 207 .

(2) Ibid.

(3) Ibid., P. 207-208.

Heimat- home أى "للأصل والمنبع" ، بمعنى الوجود الذى يظهر كل موجود ، لكى تتم الدورة ، ويتحد الكل ، ويجتمع المتفرق ، ويسود التجانس والصلح والوئام(١).

وأما عن أوجه الاختلاف بين الشاعر والمفكر فتتضح فيما يلى :

أولاً : أن الشاعر والمفكر يهتمان بالشئ نفسه وهو الاستجابة الحقيقية لصوت الوجود غير المسموع ؛ إلا أنهما يختلفان فى هذه الاستجابة ؛ فالشاعر يتجه أساساً نحو المستقبل فى ضوء ما انقضى ؛ أما "المفكر" فهو يهتم "بما لم يقال" فى ضوء ما قيل فى الماضى والحاضر، وما يمكن أن يقال فى المستقبل . وكلاهما يفترض مسبقاً فى الشعر والتفكير النور الذى يكشف عن الوجود ، والصوت غير المسموع لندائه ، فضلاً عن أن كليهما يحاول أن يستجيب استجابة حقيقية لنداء الوجود، وهذه الاستجابة تشبه من حيث بنيتها "التجميع"(*) re-collection ، والسمة الأساسية فى "الشعر" أكثر من "الفكر" هى التعبير عن الوجود بأكثر الطرق أصالة مما يؤسس العنصر الأبداعى فى الشعر الذى يؤسس بدوره عالماً ثرياً بممكناته وفى هذا الحال يعبر الشاعر بالكلمات تعبيراً فائقاً عما يمليه الوجود ذاته .

ثانياً : أن الشاعر الذى يسمى "المقدس" (كما سيأتى بيانه تفصيلاً) يهتم بالبعد

---

(١) عبد الغفار مكاوى : "شعر وفكر .." ، ص : ٥٤ .

(*) اللوجوس عند هايدجر يعنى "الكلمة - المعنى - الكل - الواحد - القانون" ، وهو الذى يجمع الموجودات فى الوجود ، أو هو التجميع والضم فى نور الوجود وحقيقته ، وإظهار ماهية الموجود من ثنايا التحجب . (قارن : عبد الغفار مكاوى : "نداء الحقيقة" ، ص : ٤٠١، ٤٠٧، ٤١١) .

الإيجابى للوجود أكثر من بعده السلبى ، بينما المفكر يحاول أن يفكر فيما لم يكن موضوعاً للتفكير أو القول فى ضوء ما سبق التفكير فيه أو التعبير عنه بالقول؛ أى أنه يهتم بالبعد السلبى لإرسالات الوجود وأشكالها المتنوعة[1] . بعبارة أخرى يمكن القول بأن مهمة "الشاعر هى أن يسمى الوجود فى إيجابيته بوصفه "المقدس" ، بينما يحاول "المفكر" أن يفهم الوجود فى صورته السلبية بوصفه كشفاً[**] لحقيقة الوجود (أليثيا)[2] .

ثالثاً : الشاعر يسمى المقدس بينما تنطق المفكر بالوجود[*] :

إذا كانت "تسمية" شئ ما عند هايدجر لاتعنى مجرد إمداده برمز أو علامة تدل على شئ ما ، فإن التسمية إنما تعنى "إحضار الشئ إلى اللغة" ، أى أن الإنسان يسمى الموجود فى الوجود ؛ فالتسمية هى التعبير من خلال "الكلمة" ، وهى "القول" ، والقول -كما سبق بيانه – هو الإظهار والإحضار فى انفتاح الوجود .

إن الشاعر يسمى المقدس[**] ؛ لأن الكلمة الشاعرية تكشف ما يُسمى بإحضاره فى نور "العالم" ، والعالم فى الوقت نفسه ذو طبيعة أرضية ، وهو من ثم يحتجب عند انكشاف الموجود[3] . ومن ناحية أخرى فالمقدس هو المجال الأساسى الذى تظهر فيه الألوهية[***] ، ورسل الربوبية .

---

(1) Ibid., P.208.

(**) يلاحظ أن الحقيقة فى معناها الحرفى هى لا (– a) تحجب (أليثيا) ؛ فالتفكير فى الوجود فى حقيقته يعنى التفكير فيه على أساس السلب والإيجاب .

(2) Kockelmans, J.J.: “Heidegger , On Art..”, P.198 .

(*) “The Poet names the holy whereas the thinker thinks Being”
(وردت هذه العبارة فى قصيدة هيلدلين "باطموس")

(**) das heilige- the holy .

(3) Perotti , J.L. : Heidegger On the Divine ..”, P.99-100.

(***) Gottheit - divinity .

والشاعر عندما يسمى "المقدس" يدخل فى علاقة فريدة مع الوجود بحيث يكشف الوجود عن نفسه بوصفه "المقدس" ، فضلاً عن أن الشاعر فى تسميته للمقدس يخبرنا عن مستقره، وعن الإشارات التى يرسلها إلى البشر[1] ؛ فالشعر وفقاً لتفسير هايدجر هو العملية الإبداعية التى يتوجه فيها الوجود إلى الشاعر برسالة ، ويتمثل رد فعل الشاعر لهذه الرسالة فى صورة "كلمات" . إن "نداء الوجود" من منظور المقدس يتخذ صورة "إرسالات المصير" ، وفيها يكشف المقدس عن ذاته ، ويحتجب ، ويتجلى فى صورة "سر" ، والإستجابة إلى نداء الوجود من منظور الشاعر تتخذ صورة "الذكرى" Andenken - Remembrance أو "التجميع" ويُسمى "المقدس" بالقصيدة الأصلية التى يُعبر عنها بالكلمات ، ومع ذلك فهى قصيدة فريدة يتم فيها تجاوز كل شكل من أشكال الشعر المنظوم بمعناه الضيق[2] .

وغنى عن البيان أن "تسمية المقدس" مهمة تاريخية ، حيث يتم الانفتاح على تجربة معرفة الإله والخالدين .. عن طريق الكلمات، فضلاً عن أن السؤال عن "وطن" الإنسان وماهيته مرتبط أساساً بالسؤال عن ماهية الإله . يرى هايدجر أن العالم التكنولوجى الحديث قد ساعد الإنسان على السيطرة على الموجودات ، والسيادة الفيزيائية على الطبيعة بهدف الحصول على أكبر قدر ممكن من المنفعة بحيث أصبح إنسان عصر التكنولوجيا لايعمل فقط "من أجل" عالمه[3]، وإنما أيضاً "ضده" لكى يسود هذا العالم الذى يحيا فيه . إن التكنولوجيا سيطرت بدورها على الإنسان حتى جرفته بصورة مخيفة نحو "التقدم" المزعوم، لأنها فى النهاية تنتزع الإنسان من

---

(1) Ibid, P.102.

(2) Kockelmans J.J. : "Heidegger, On Art..", P.196.

(3) Perotti, J.L. : "Heidegger On the Divire ..", P.110- 111.

ماهيته بوصفه إنساناً مفكراً بلا منازع[1].

إن فقدان الأصل أو المنبع (الوطن)(*) معناه أن الإنسان لم يعد يحيا في وطنه، وأنه من حيث ماهيته كإنسان مفكر لم يعد يستجيب لنداء الوجود؛ أي أنه يعاني من نسيان الوجود أو التخلي عنه .

والإنسان من حيث الماهية هو ذلك الموجود الذي يقوم وجوده على "السكن"(**) بالقرب من الوجود ، وهو لايكون في وطنه قط إلا إذا اتخذ مسكنه بالقرب منه[2].

و"هيلدرلين" حين يتغنى بالوطن في أكثر من قصيدة ، فهو إنما يقصد القرب من الأصل والمنبع وليس الوطن الجغرافي وهو يتمنى أن يعود إليه ، لأنه من العسير -كما في قصيدته "التجوال" أن يهجر المكان من كان قريباً من الأصل، أي من الوجود نفسه ، وهو لايقترب منه بالشعر فحسب؛ بل إن الشعر نفسه هو القرب من الأصل، لأنه هو الذي يعبر عن فرحة القرب من سره الذي يتجلى ويحتجب ، ويهب نفسه أو يبخل بها في آن واحد . بهذا تمتزج الفرحة بالحزن ، وتختلط السعادة بالهم[3] .

ونجد الأمر نفسه في قصيدة هيلدرلين "العودة إلى الوطن" Heimatkunft، والعودة هنا أيضاً هي القرب من المنبع أو الأصل ، والوطن في

---

(1) Ibid., P. 96- 97 .

(*) Heimlösigkeit - homelessness .

(**) Whonen- dewelling .

(2) Ibid, P. 98 .

(٣) عبد الغفار مكاوى : "شعر وفكر .." ، ص : ٥٠ .

هذا السكن التاريخي هو أيضاً القرب من الوجود[1] ، والسكن في انفتاح الوجود. والشاعر وحده يناديه "المقدس" ويقترب منه ، لأنه وحده هو الذي اقترب من الأصل[2] .

إن "السكن" "معناه وجود الأشياء التي نسكن إليها" ، وبناء الأشياء هو مهمة الشعر الأصلي ؛ ذلك هو الاحتياج الأكبر للإنسان في رحلته للعثور على الوطن . إذن لابد من التفكير في "السكن" بوصفه احتياجاً ، بحيث يصبح ذلك الاحتياج طريقاً إلى الأصل أو إلى الوجود . والإنسان عندما يفكر في فقدانه للوطن أو للأصل ، فإن هذا الفقدان يصبح دافعاً ملحاً يدعو الفانين إلى السكن[3] والبحث عن مستقر .

ألقى "هايدجر" محاضرة[*] حول علاقة السكن بالشعر ، وهي بعنوان "سكن الإنسان شاعري"[**]

يقول هايدجر في محاضرته :

".. يتسم سكننا بأنه يفتقر إلى معنى السكن ؛ .. والسكن الذي

---

(1) Perotti, J.L : "Heidegger On The Divine.."P.98.

(2) Ibid., P. 107.

(3) Langan, T.: The Meaning of Heidegger .." , P.128 .

(*) هذه المحاضرة ألقاها هايدجر في السادس من أكتوبر عام ١٩٥١م في بولرهيهه Bühlerhöhe ونشرت في كتاب "محاضرات ومقالات Voträge und Aufsätze، وعنوان المحاضرة مقتبس من قصيدة كتبها هيلدرلين في مرحلة متأخرة .

(**) dichterisch wohnet der Mensch- Poetically man dwells .

نقصده لايعنى الإقامة فى بيت أو مكان ما .. إن معنى الإقامة وما هو شاعرى يتفقان بحيث يعتمد السكن على ماهو شاعرى ، فإذا كان الأمر كذلك ، فإننا مطالبون بأن نفكر فى السكن والشعر من خلال ماهيتهما الحقيقية .. أو نفكر فى وجود الإنسان من خلال معنى السكن، وبذلك نبتعد عن المعنى التقليدى للسكن .. إن العبارة القائلة : سكن الإنسان شاعرى إنما تعنى أن الشعر هو السبب الأول فى أن يكون السكن سكناً حقيقياً ، وأنه هو الذى يجعلنا نشعر بالفعل بالسكن .. ونحن نحصل على "مكان" السكن عن طريق البناء Bauen - building .. إن الإبداع الشعرى الذى يحقق لنا السكن انما هو نوع من البناء"(1).

يتضح من النص السابق أن المهمة الأساسية للوجود الحقيقى هى "السكن" الذى يشتمل على بناء الأشياء بطريقة شاعرية ، أى أن نترك الأشياء والموجودات لتوجد. إذن البناء والسكن والتفكير يعبران عن "السكن الشاعرى" الذى هو غاية الوجود الحقيقى ؛ والشعر هو البناء الأصلى الذى يُعد مقياساً حقيقياً للسكن(2) أو للقرب من الوجود .

رابعاً : أن المهمة التى يضطلع بها "الشاعر" تختلف عن مهمة "المفكر" :

---

(1) Heidegger, M., : "Dichterisch Whont der Mensch" im Vorträge und Aufsätze, Günter Neske Pfullingen, Tübingen, 1954, S.187-189.

(Cp.- Heidegger M. : "Poetry, Language and Thougth trans and Intro . by Albert Hofstadter , Harper Row Publishers, London, 1975, P.213- 215.

(2) Langan, T. "The Meaning of Heidegger ..", P.126-128 .

"الشاعر" وفقاً لتفسير هايدجر يقوم بدور "الوسيط" بين المقدس ورسل الربوبية من ناحية والفانين أو الشعب من ناحية أخرى ؛ فهو يتلقى الهبات السماوية من أجل الشعب ؛ والشعر هو الوسيلة التى يتحدث بها المقدس ذاته إلى الفانين ؛ ولكن الفانين غالباً ما يعجزون عن الإنصات إليه اللهم إلا الصفوة من المفكرين التى تكون مستعدة لتلقى الكلمة الشعرية ، فضلاً عن أن تلك الكلمة سرعان ما تفقد ما فيها من عمق مالم يتلقاها المفكر بالرعاية ، وما لم تتأصل لدى "الفانين"[1] .

إن الشاعر هو الذى يتلقى إشارات المقدس Winke - signs ورسل الربوبية وليس المفكر، وتتألف لغة الشاعر من التقاط هذه الإشارات ليجعل منها بعد ذلك إشارات يخاطب بها الناس ، وهذا "الالتقاط" عبارة عن "تلقٍ"، ولكنه فى الوقت نفسه موهبة جديدة ؛ إذ يميز الشاعر فى "الإشارة الأولى" المتحقق فعلاً لكى يتنبأ بما لم يتحقق بعد .

ومن ناحية أخرى ، فإن تأسيس الوجود مرتبط بإشارات الآلهة، ولغة الشعر فى الوقت نفسه تفسير لـ "صوت الشعب"[*]. وهذا الإسم يطلقه هيلدرلين على الأساطير والحكايات التى يتذكر بها الشعب انتماءه إلى الوجود فى مجموعه[2] .

إذن يتلقى الشاعر من رسل الربوبية الإشارات ، فتستمد الكلمة الشعرية قوتها ومعيارها من المقدس والألوهية ، وهو ما لا يستطيع "المفكر" القيام به، وعلى الرغم من ذلك فإن النطق بالوجود وتسمية المقدس إنما يعبران عن الشئ نفسه حيث تتم

---

(1) Perotti , J.J. : "Heidegger, On the Divine .." , P.107-108 .

(*) Stimme des Volkes .

(٢) مارتن هايدجر : "هيلدرلين وماهية الشعر" ، ترجمة : فؤاد كامل ، ص : ١٥٥ .

تسمية ماهية الأشياء وتحويل العالم إلى "كلمة" .

ولايعنى ما سبق أن "المفكر" لايقوم بتسمية رسل الربوبية والمقدس على وجه الإطلاق ؛ وإنما يعنى أن أقوال المفكر تتخذ صورة عبارات وأقوال أكثر منها قصائد مثل القصائد التى يتغنى بها الشاعر ، وهذه الأقوال قد تضللنا فنفهم الإله ورسل الربوبية كتفسيرات مما يبعدنا عن الحقيقة . إن "الشاعر" عند هايدجر هو القادر بحق على تسمية المقدس ، و"المفكر" يؤكد على الكلمة الشعرية ، ويحافظ على الحقيقة التى يسميها الشاعر ؛ أى أنه يصون حقيقة الوجود من خلال الكلمة[1] .

والشاعر هو الذى يكشف عن حقيقة الوجود ، لأنه وحده الذى "يؤسس ماهو باق" كما سبق بيانه، والباقى هو الوجود نفسه الذى يتجلى فى نوره كل موجود ، وهو يفعل ذلك عن طريق "القول الحقيقى" الذى يسمى الآلهة والأشياء، وبهذه التسمية يوجدها ويؤسسها فى الوجود، ذلك هو عهد الشاعر حين يغنى ، وحين يقول، وهذا القول الجوهرى هو الشعر ، والشاعر ينطق بواسطته عن حقيقة الوجود ، لأن اللغة فى الأصل هى "لغة الوجود" ، ولن نعرف ماهية اللغة حتى نبدأ بماهية الشعر[٢] ؛ بل إن الشعر يجعل من اللغة أمراً ممكناً؛ وليست اللغة المقصودة هى نسق الكلام وقواعده، وبناءه النحوى والصرفى، فهذه كلها مظاهر اللغة، إنما "الحدث" الجوهرى للغة هو الحوار الذى يفترض إمكانية السماع والإنصات، كما يفترض أن تكشف الكلمة الجوهرية عن الشئ الواحد الثابت، الذى يمكن أن نتفق عليه،

(1) Gall, R. : “Beyond Theism ...”, P.108 -109 .

(٢) عبد الغفار مكاوى : "شعر وفكر .." ، ص : ٧٢ .

ويحمل وجودنا[1].

و"الشاعر" حينما يؤسس من جديد ماهية الشعر - وفقاً لما يراه هيلدرلين إنما يبدأ بتحديد زمان جديد هو زمان الآلهة السابقين ، والإله الذى سيجئ؛ ذلك أن زماننا : الزمان الضنين أو زمان التعاسة قد غاب فيه الإله(*) ، ونحن فى انتظار مجئ الإله من جديد .

د- رنين الصمت(*) وعلاقة الجوار :

يقول هايدجر في محاضرته "ماهية اللغة" :

"... القول بوصفه المحرك فى رباع العالم يجمع كل الأشياء فى القرب ، ويجعل كل منها فى مواجهة الآخر ، وهو يقوم بذلك فى

---

(١) المرجع نفسه ، ص : ٥١ .

(*) أما عن "غياب الإله" عند هايدجر فيمكن أن يشير إلى المعانى التالية :

أ- أن الدين قد أغرق فى الصورية ، وأضحى خالياً من المقدس ومن المعنى الحقيقى للألوهية .

(Cp . Perotti , J.L. : Heidegger, On The Divine.." P.105.

ب- أن زماننا هو الزمن الضنين لأنه مصحوب بنقص مزدوج وسلب مزدوج: نقص الآلهة الذين اختفوا ، ونقص الاله الذى لم يأت بعد .

جـ- أن ماهية الشعر "تاريخية " إلى أقصى حد ، لأنها تتنبأ بزمان تاريخى وهى الماهية الجوهرية الوحيدة .

(قارن : مارتن هايدجر : "هيلدرلين وماهية الشعر" ترجمة فؤاد كامل ، ص : ١٥٧.)

د - "نسيان الوجود" مما يهدد الإنسان ويحجب عنه معنى "المقدس" و"الألوهية"

(Cp. Langan, T.: "The Meaning ..", P.116.)

(*) das Geläut der Stille - the ringing of stillness .

صمت ؛ كما أن الزمان يتزمن ، والمكان يتخذ موضعاً في صمت ، فضلاً عن أن لعب الزمان – المكان يتم أيضاً في صمت"[1] .

هذا ، ويسمى هايدجر نداء التجميع الصامت[*] الذى يحرك رباع العالم عن طريق القول باسم "رنين الصمت" . وإذا عدنا مرة أخرى إلى تفسير هايدجر لقصيدة جنورجه "الكلمة" حيث يقول في البيت الأخير من القصيدة:

"إن تنكسر الكلمة لايوجد شئ "

لوجدنا أن هذا الانكسار للكلمة هو الخطوة الحقيقية للعودة إلى طريق التفكير، والانكسار Zerbrechen- breaking up هنا يعني أن الكلمة المنطوقة[**] تتحول إلى كلمة بلا صوت Lautlose - Soundlessness ، وإلى المصدر الذى انبعث منه بوصفه القول الأصلي المحرك لرباع العالم[2] .

وإذا كان المحمول في اللغة يصف الموضوع بصفات محددة ؛ فإن اللغة عند هايدجر تدور في مجال سابق على المحمولات بصفة أساسية ، وتبلغ ذروتها في القول غير المقول[***] ، وفي هذه اللغة لم تعد العبارات التوضيحية ممكنة، وقضاياها لم تعد تنسجم مع قضايا المنطق التقليدية ، علماً بأن اهتمام هايدجر بهذا النوع من

---

(1) Heidegger, M. : "On the Way to Language- The Nature of Language" trans.by Hertz P.D., Harper & Row Publishers, U.S.A., 1971, P.108.

(*) das lautlose rufende Versammeln- the sound - less gathering call .

(**) das volautende Wort - the sounding word .

(2) Ibid., P.108.

(***) Sagenden Nichtsagen - the saying that doesn't say .

القول إنما يرجع إلى محاولته التفكير فى الوجود بما هو كذلك، والسؤال عن معنى الوجود . إن "مالا يقال" يعبر عن نفسه أيضاً ، ومثل هذه اللغة الأنطولوجية تصل إلى أبعد من حدود المفهوم المنطقى والنحوى للغة الذى ينحصر مجاله الأساسى فى الحكم ، ويقوم بناؤه على علاقة الموضوع -المحمول، وهذه اللغة تتوجه بذاتها إلى نداء الوجود الصامت الذى يتحدث فى صمت وتدعو إلى "اللوجوس" . إن كل تسمية حقيقية تتحدث عند هايدجر عن غير المقول ، ويكون لها صوت هو "رنين الصمت"(1) .

وإذا كانت "الكلمة" عند هايدجر واهبة الوجود - كما سبق بيانه- فإن هذا لايعنى أنه لايوجد شئ عند إنكسار الكلمة ، فعلى الرغم من انكسارها يتبقى "شئ" لما يزل يوجد ، وهذا الشئ هو تلك القوة الغامضة التى تحملها الكلمة فى أعماقها . فى صمت الكلمة -إذن- مايتبقى هو الطريقة التى يوجد بها الشئ(2) .

ويمكن القول بأن "المفكر" بوصفه "حارس الكلمة" بوسعه فقط أن يشير إلى "صمت" الشاعر فى الزمن الضنين فى انتظاره لمجئ الإله ، ويمكن فهم هذا الصمت بصورة أفضل على أنه نوع من الإستجابة ، وهى الاستجابة الوحيدة الممكنة فى زمن الحاجة(*) إلى الإله يملؤها الأمل والانتظار والترقب(3) .

وجدير بالذكر أن الصمت -كما يرى هيلدرلين- هو شرط التجدد الروحى

---

(1) Sallis, J. : "Heidegger and the Path of Thinking, P.96 -97 .

(2) Halliburton, D. : "Poetic Thinking ..", P.179.

(*) Time of need .

(3) Perotti, J.L. : "Heidegger, On The Divine..", P.111-118.

المأمول ، وهو مرتبط بالقدرة على الإنصات لصوت الوجود الحق، أو صوت الخالدين السماويين من رسل الربوبية الذين لايفنون ولايبخلون ، ولابد من أن يتجانس الصوت البشرى مع الصوت الإلهى فى نغم واحد وسر واحد، ولابد أيضاً أن نحسن الإنصات لكى ندخل فى الحوار ، ونعود حواراً كما بدأنا على حد تعبير هيلدرلين ، ومن لايحسن "الإنصات" فلن يحسن إلا النزاع والخلاف[1].

(١) عبد الغفار مكاوى : "شعر وفكر .." ، ص : ٤٢ .

تعقيــب ...

يمكننا الإجابة فى هذا التعقيب على السؤال الثالث والأساس فى هذا البحث: ما أهم خصائص المفهوم الأنطولوجى لعلاقة الجوار بين الشعر والفكر عند هايدجر؟

وللإجابة عن هذا السؤال تناولنا موضوعات رئيسية أربعة حول علاقة الجوار والدخول فى تجربة مع اللغة ، وخصائص القول والقرب فى علاقة الجوار، وأوجه الاتفاق والاختلاف بين الشاعر والمفكر ، وأخيراً رنين الصمت فى علاقته بالجوار بين الشعر والفكر ، ويمكن إيجاز النتائج المترتبة على ذلك فيما يلى :

أ- فيما يتعلق بالموضوع الأول : "علاقة الجوار بين الشعر والفكر والدخول فى تجربة مع اللغة". تبين لنا ما يلى :

أولاً : أن علاقة الجوار بين الشعر والفكر عند هايدجر علاقة ذات طبيعة إشكالية، لأنها تهتم فى صميمها بسر الوجود ذاته ؛ فكل من الشاعر والمفكر يشتركان فى مهمة "إحضار الوجود عن طريق اللغة"، وكلاهما يهتم باللغة؛ أى بلغة الوجود ، وهما فى إهتمامهما هذا يستجيبان استجابة حقيقية "لنداء الوجود".

ثانياً : أن فى الشعر والفكر شكلاً آصل من التفكير يشمل كلاً من الوجود والإنسان؛ وهذا الشكل يسمى أحياناً "بالشعر الأصلى"، وأحياناً "بالتفكير الأصلى". وهو يعتمد على "الإنصات بعناية للقول الأصلى للوجود، واستجابة "الإنصات يجسدها كل من الشاعر والمفكر عن طريق "اللغة" التى تسمى عالم الأشياء والموجودات .

ثالثاً : أن الشعر أكثر المشاغل براءة ، وأشدها خطراً ؛ لأنه شكل من أشكال اللعب، يخلق عالمه من الصور والأخيلة بحرية وبلا قيد من مادة اللغة، وهى أخطر ما أُعطى للإنسان؛ لأنها الشهادة على انتمائه للموجود بكليته، أو هى الشهادة على إمكان التاريخ نفسه.

رابعاً : أن الشعر "تأسيس بالكلمة وفى الكلمة" ، وما يؤسسه الشعراء هو ما يبقى ويدوم ، وما يبقى "يسمى " كل ما هو موجود حاضر، أى أن القول الشعرى "يؤسس " الوجود ، ويوقظه ، ويحقق له الحضور .

- وفيما يتعلق بالموضوع الثانى : خصائص القول والقرب فى علاقة الجوار، فقد اتضح لنا ما يلى :

- الخاصية الأولى : أن علاقة الجوار بين الشعر والفكر إنما تعنى "السكن فى القرب"؛ فكلاهما طريقتان فى القول ، والقرب الذى يجمع بين الشعر والفكر معاً فى علاقة الجوار نسميه "بالقول" ، والماهية الأساسية للقول هى "الإنارة والحجب"؛ أى الكشف عن حقيقة الوجود .

- الخاصية الثانية : أن "القرب " من حيث ماهيته يقع خارج الزمان والمكان، ويستقل عنهما ، وهو ليس قرباً جغرافياً، وعلاقة الجوار تحافظ على ماهية القرب بوصفه كذلك .

- الخاصية الثالثة : أن اللغة ليست مقدرة إنسانية خالصة ، وماهيتها تعبر عن الحركة فى صميم رباع العالم : الاله ورسل الربوبية - السماء - الأرض- الفانون، وهذه الحركة تؤدى إلى "القرب" بين هذه العناصر جميعاً، وتمهد السبيل لكى يواجه كل عنصر من عناصر الرباع للآخر ، وهذه المواجهة تنشأ من المسافة بين الأرض

والسماء ، والإله والبشر فى رباع العالم .

- وفيما يتعلق بالموضوع الثالث : أوجه الاتفاق والاختلاف بين الشاعر والمفكر من حيث المهمة الملقاة على عاتق كل منهما ، فيمكن إيجاز أوجه الاتفاق بينهما فيما يلى :

أولاً : أن "النداء الأصلى" للوجود يتجسد فى صورة "شعر أصلى" أو "فكر أصلى"، والمفكر والشاعر بوسعهما الإنصات إلى هذا النداء، ولاستجابة كل منهما خاصية "التفكير الأصلى فى الوجود" .

ثانياً : أن الشاعر والمفكر يتفقان من حيث الغاية ؛ فكلاهما يبغى العودة إلى الوطن أى الأصل ، أو الوجود الذى يظهر كل موجود .

- وأما عن أجه الاختلاف فيمكن إيجازها فيما يلى :

أولاً : أن الشاعر والمفكر يختلفان من حيث استجابتهما لنداء الوجود، فالشاعر يتجه نحو المستقبل فى ضوء الماضى؛ أما المفكر فيهتم "بمالم يقال" فى ضوء ما قيل فى الماضى والحاضر والمستقبل معاً .

ثانياً : أن الشاعر "يسمى" الوجود فى إيجابيته بوصفه المقدس، والمفكر يحاول فهم الوجود فى صورته السلبية بوصفه كشفاً للحقيقة .

ثالثاً : أن الشاعر "يسمى" المقدس ، بينما المفكر "ينطق" بالوجود، والتسمية هنا "إحضار الشئ إلى اللغة " أو "إحضار الموجود إلى الوجود من خلال الكلمة "، أى أنها "القول" بمعنى الإظهار والإحضار فى انفتاح الوجود. كما أن "تسمية المقدس" مهمة تاريخية حيث يتم الانفتاح

على تجربة معرفة الإله ورسل الربوبية عن طريق الكلمات ، فضلاً عن أن السؤال عن وطن الإنسان أى عن "وجوده" وماهيته مرتبط بالسؤال عن ماهية الإله .

وهذه التسمية تسمح "بالسكن فى انفتاح الوجود" ؛ علماً بأن السكن معناه "وجود الأشياء التى نسكن إليها ، وبناء الأشياء هو مهمة "الشعر الأصلى" فى رحلة البحث عن الوطن أو الأصل. وهذا السكن "شاعرى" بمعنى أن الشعر هو السبب الأول فى أن يكون السكن سكننا الحقيقى ، وأننا نحصل عليه عن طريق البناء أو الإبداع الشعرى .

رابعاً : أن مهمة الشاعر تختلف عن مهمة المفكر :

أ – "فالشاعر" يلتقط الإشارات من المقدس ورسل الربوبية من ناحية، والفانين من ناحية أخرى ؛ وهو بذلك وسيط بينهما ، و"المفكر" ينصت إليه لتلقى الكلمة الشعرية .

ويرتبط "تأسيس الوجود" بإشارات المقدس هذه ، ولغة الشعر –من جانبها – تفسير "لصوت الشعب" حيث يتذكر من خلالها انتماءه للوجود فى مجموعه .

ب– أن الشاعر يسمى المقدس ؛ بينما يؤكد المفكر على الكلمة الشعرية، ويصون حقيقة الوجود من خلال هذه الكلمة ؛ لأن اللغة فى الأصل هى لغة الوجود ؛ ولأن ماهية اللغة تبدأ من ماهية الشعر ، وتلك الماهية تختلف عن مظاهر اللغة من نحو وصرف وغيرهما؛ فهى "الحوار" الذى يفترض إمكانية السماع والإنصات .

جـ- أن الشاعر حينما يؤسس ماهية الشعر يبدأ بتحديد زمان جديد هو زمان الآلهة السابقين والإله الذى سيجئ فى مقابل زماننا: الزمن الضنين، ومأساة الشاعر ترجع إلى وقفته فى زمن المحنة بين عهد مضى، وغابت عنه الآلهة ، وعهد آخر ينتظر قدوم الإله ، ولما يأت بعد[1] .

- وفيما يتعلق بالموضوع الرابع : رنين الصمت فى علاقته بالجوار بين الشعر والفكر ، فقد تبين لنا مايلى من نتائج :

أولاً : أن "رنين الصمت" عند هايدجر يرادفه "انكسار الكلمة" فى قصيدة جئورجه سالفة الذكر ، وهذا الانكسار هو الخطوة الحقيقية للعودة إلى طريق التفكير ؛ حيث تتحول "الكلمة المنطوقة" إلى "كلمة بلا صوت"، وإلى المصدر الذى انبعثت منه بوصفه "القول الأصلى" المحرك لرباع العالم .

ثانياً : أن "رنين الصمت" يعنى أن اللغة تبلغ ذروتها فى "القول غير المقول"، والسبب فى اهتمام هايدجر بذلك هو هدفه الأساسى من فلسفته ؛ أى التفكير فى الوجود بما هو كذلك ، والسؤال عن معناه، علماً بأن هذه اللغة تتوجه بذاتها إلى "نداء الوجود الصامت" الذى يتحدث فى صمت ، ويدعو إلى "اللوجوس" .

ثالثاً : أن كل "تسمية حقيقية" عند هايدجر تتحدث عن غير المقول، ويكون لها رنين هو "رنين الصمت"، وهذا الصمت هو الإستجابة الوحيدة

---

(١) عبد الغفار مكاوى : "شعر وفكر .." ، ص : ٥٢ .

الممكنة فى زمن الحاجة إلى الإله .

رابعاً : أنه فى "صمت الكلمة أو فى انكسارها" يتبقى شئ يعبر عن قوتها الغامضة التى تحملها فى أعماقها ، وهذه القوة تعبر عن الطريقة التى يوجد بها الشئ ؛ "فالصمت" عند هايدجر هو شرط التجدد الروحى ، ويرتبط بالقدرة على الإنصات لنداء الوجود، فلابد من أن نحسن "الإنصات" كى ندخل فى "الحوار" .

الخاتمة

يمكننا فى خاتمة البحث أن نشير إلى بعض الملاحظات التى تلقى بعض الضوء على "المفهوم الأنطولوجى للغة عند هايدجر" ، وخصوصاً فى محاضراته الثلاث عن "ماهية اللغة" فى كتابه "على الطريق إلى اللغة" ، وهى التى تم تناولها تفصيلاً فى هذا البحث :

أولاً : أن اللغة من حيث ماهيتها عند هايدجر هى الوجود ذاته فى صورة "كلمات" ؛ فهى الوجود بوصفه "لوجوس" ، وأن التفكير المستمد من الشعر الأصلى يتسم بطابع شعرى هو الآخر ، ويبقى ذلك "محتجباً" لأننا لم نعرف بعد كيف نفهم الماهية الحقيقية للغة التى هى الوجود بوصفها تجميعاً للوجوس .

إذن مهمة "التفكير الأصلى" هى التفكير فى الوجود ولاشئ سوى ذلك، وعندما يستجيب الفكر إلى نداء الوجود ، فإنه بوسعنا أن ندخل فى تجربة مع اللغة .

ثانياً : أن الإنسان من حيث ماهيته لايكون إنساناً إلا بقدر ما ينصت إلى نداء اللغة ؛ فاللغة سكن الإنسان الذى يحيا فيه دون أن ينتبه إليه أو يفكر فى أمره؛ فهو أبعد شئ عنه ، وإن كان أقرب الأشياء إليه ، والآن يتوارى الإنسان قليلاً لكى تبرز اللغة إلى المقدمة ؛ فاللغة هى التى تستخدم الإنسان ، وعليه أن يطيعها ، وينصت إليها[١] .

ثالثاً : "حيث توجد لغة يوجد عالم ، وحيث يوجد عالم يوجد تاريخ " ؛ فاللغة "نعمة" بمعنى أشد أصالة ، فهى "نعمة وضمان" لهذا العالم وهذا التاريخ لأنها "تضمن"

(١) عبد الغفار مكاوى : "نداء الحقيقة" ، ص : ٢١٤ .

أن يكون في استطاعة الإنسان الوجود بوصفه كائناً تاريخياً[1] .

رابعاً : أن رسالتنا من وجهة نظر هايدجر هي التهيؤ للإنصات الحقيقى لما يسميه الشاعر والمفكر ، وعلينا أن نصون ما ننصت إليه ، أى نصون ماهو أصلى : فينفتح أمامنا سكن حقيقى فى الوجود ، ولا نتخلى عنه انتصاراً للتفكير الحسابى الذى يجرفنا إلى خواء اللامعنى وينتزع منا ماهيتنا.

فهل يمكننا حقاً أن نصون حقيقة الكلمة التى ينطق بها الشاعر والمفكر فى القرب البعيد بينهما[2] ؟؟

---

(١)نفس المرجع ، ص : ٧٣ .

(2) Cp. Langan, T. : "The Meaning of Heidegger", P.129 .

قائمة المصادر والمراجع

(أولاً) المصادر الألمانية :

- Heidegger, M. : "Unterwegs zur Sprache -das wesen der Sprache", Gesamtausgabe, B.12, Vittorio Klostermann, Frankfurt am Main, Germany, 1985

"Vorträge und Aufsätze - dichterisch Whonet der Mensch", Günter Neske, Pfullingen, Tübingen, 1954.

"Sein und Zeit", 10. Auf . Max Niemeyer Verlag, Tübingen, Germangy, 1963 .

(ثانياً) المصادر الأجنبية المترجمة :

- Heidegger, M. : "On the Way to Language- The Nature of Language" trans by Hertz P.D., Harper & Row Publishers, Inc., U.S.A., 1971.

: "Essays In Metaphysics : Identity & Difference", trans by . Kurt F.Leidecker, Philosophical Library Inc., New York, 1960.

: "Poetry- Language- Thought", trans. by. Hofstadter,A., Harper & Row Publishers, London, 1975 .

(ثالثا) المراجع الأجنبية :

- Brown S , and others (edit.) : "One Hunderd 20th Century Philosophers" , Routledge, London, 1999.
- Gall. Roberts "Beyond Theism and Atheism Heidegger's Significance for Religious Thinking", Martinus Nijhof Publishers, U.S.A., 1987.
- Halliburton, David.: "Poetic Thinking - An Approach to Heidegger" The Uni. of Chicago Press Ltd, London, 1981.
- Kockelmans, J.J. : "On The Truth of Being- Reflections On Heidegger's Later Philosophy", Indiana University Press, Bloomington, U.S.A., 1984.

  : "Heidegger, On Art and Art Works", Martinus Nijhoff Publishers, the Netherlands, 1985 .
- Langan, T. : "The Meaning of Heidegger-Acritical Study of an Existentialist Phenomenlogy", Routle-dge & Kegan Paul Ltd, London, Creat Britain, 1959.

- Perotti, J.L. : "Heidegger, On the Divine- the Thinker, the Poet and God", Ohio Uni. Press, U.S.A., 1974.

- Sallis, J. : "Heidegger And the Path of Thinking", Duquesne Uni, Press, U.S.A., 1970.

- Zimmerman, M.E.: "Heidegger's Confrontation with Modernity- Technlogy, Politics and Art", Indiana Uni. Press, U.S.A., 1990,

(رابعاً) الموسوعات الأجنبية :

- Encey. Britannica : Vol, Benton, W. Publisher, U.S.A., 1964.

(خامساً) قواميس أجنبية :

- Leaman, Oliver : "Key Concepts in Eastern Philosophy", Routledge, London, Great Britain, 1999.

- Inwood, Michael : "A Heidegger Dictionary", Blackwell Publishers Ltd., Creat Britain, 1999.

(سادساً) مصادر مترجمة :

- مارتن هايدجر : "ما الفلسفة ؟ ما الميتافيزيقا؟ هيلدرلين وماهية الشعر" ، ترجمة فؤاد كامل، محمود رجب، مراجعة عبد الرحمن بدوى، سلسلة نصوص فلسفية ، دار الثقافة ، للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٤م .
- ،، ،، : "نداء الحقيقة" ، ترجمة وتقديم ودراسة عبد الغفار مكاوى، سلسلة نصوص فلسفية (٩) ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

(سابعاً) المراجع العربية

- زكريا إبراهيم : "فلسفة الفن فى الفكر المعاصر" – سلسلة دراسات جمالية (١) ، مكتبة مصر، الفجالة ، القاهرة ١٩٦٦م .
- صفاء عبد السلام جعفر : "الوجود الحقيقى عند مارتن هايدجر" منشأة المعارف – الإسكندرية ، ٢٠٠٠م .
- عبد الغفار مكاوى : "شعر وفكر – دراسات فى الأدب والفلسفة" الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٥م
- : "ثورة الشعر الحديث – من بودلير إلى العصر الحاضر" –ج٢– "الدراسة" الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة، ١٩٧٢م .
- : "هيلدرلين" – مجموعة نوابغ الفكر الغربى – دار المعارف– القاهرة – ١٩٧٤م .

- : "مدرسة الحكمة" - مقال ماهو الشئ ؟ دار الكاتب العربي- القاهرة ١٩٧٠م .

(ثامناً) موسوعات فلسفية عربية

- عبد المنعم الحفني : "الموسوعة الفلسفية" ط١ ، دار ابن زيدون - بيروت، ١٩٩٢م.

ثبت بأهم المصطلحات

(A)

Andenken -	Remembranee	الذكرى (التذكار)
Anfang	begining	البدء
(das) anfängliche	Originating	التفكـــير الأصلــــى
Denken	thinking	(الأساسى)

(B)

Bauen	building	البناء
Be- wëgen	movement	الحركة
Bilden	forming	التشكيل

(C)

Chiffre	Cipher	الشفرة

(D)

Denken	thinking	التفكير
denkende Erfahrung	thinking exprience	تجربة التفكير
Denker	thinker	المفكر
Dichten.	Poetizing	الشعر
Dichtung		
Dichter,	Poet	الشاعر
Dichterberuf	Poetic Calling	النداء الشعرى

dichterische Erfahrung	Poetic experience	التجربة الشعرية
dichterische sage	Poetic Saying	القول الشعرى
dichterisches wort	Poetic Word	الكلمة الشعرية
Ding	thing	الشئ
dürftige Zeit	destitute time, time of need	الزمن الضنين (زمن التعاسة) (زمن الحاجة)

(E)

eigentlich	authentic	حقيقى (أصيل)
Einbildungskraft	transcendental Imagination	الخيال (الترانستدنتالى) (كانط)
Ereignis	appropriation, concern	الحادث
Erleidnisse	Passoins	الانفعالات
Erschlossenheit	openness	الانفتاح
Erscheinen Lassen	to make appear	يـــترك (الموجـــود) للظهور

(F)

Ferne	remoteness	البعد

(G)

(das) Gebende	the giver	(الكلمة) الواهبة
(die) Gegend	the country	المجال
(das) Geheiss	the command	تسمية
gelangen	arriving	الوصول
(das) Geläut der Stille	the ringing of stillness	رنين الصمت
Gesang (das) Lied	song	الأغنية
Gespräch	discourse	الحوار
Gottheit	divinity	الألوهية
(die) Göttlichen	immortals	رسل الربوبية (الخالدون)
Gründen	grounding	التأسيس

(H)

(das) heilige	the holy	المقدس
(die) Heiligkeit	holiness	القداسة
Heimat	home	الوطن (الأصل - المنبع)
Heimatlösigkeit	homelessness	فقدان الوطن (أو الأصل)
Hymne	hymns	أناشيد

(L)

Laut	Sound	صوت
(das) Lauten der Sprache	Sound of Language	صوت اللغة
Lautlose	Soundlesness	(كلمة) بلاصوت
Logos	logos	اللوجوس
Lichtung	Clearing	الإنارة

(M)

Metasprache	metalanguage	ما بعد اللغة
Mit der Sprache eine Erfahrung machen	to undergo an experience with language	الدخول فى تجربة مع اللغة

(N)

Nachbarschaft	neighborhood	علاقة الجوار
Nach - denken	meditative thinking	التفكير التأملى
Nähe	nearness	القرب
Name	name	الاسم
Nennen	naming	التسمية
Nichtigkeit	nothingness	العدم

(O)

German	English	Arabic
(die) Ontologische Differenz	the ontological difference	الفرق الانطولوجى

(P)

German	English	Arabic
Poesie	Poetry	نظم الشعر (القصيد)

(Q)

German	English	Arabic
quelle der Sprache	the well- spring of language	منبع اللغة

(R)

German	English	Arabic
Raum - Zeit	Space - time	الزمان -المكان
das rechnende Vorstellen	the calculative frame of mind	الإطار الحسابى للعقل
Ruf	Call	النداء
Rhythmus	rhythem	إيقاع (اللغة)

(S)

German	English	Arabic
(die) Sage	Saying	القول
Sagenden Nichtsagen	the saying that doesn't say	القول غير المقول
Schenken	bestowing	الهبة
Seele	Soul	النفس

Sein	Being	الوجود
Sinn	Meaning	المعنى
Sprache	Language	اللغة
(die) Sprache des Wesens	the language of Being (essence)	لغة الماهية
Sprache Spricht	Speech speaks	اللغة تتحدث
Sprung	Leap	وثبة
Stiftung	foundation	تأسيس
Stimme des Volkes	Sound of People	صوت الشعب
Stimmliche Verlaut - barung	making of vocal sounds (Vocalization)	عملية إصدار الصوت

(T)

(das) technisch - wissenschaftliche Rechnen	technical scientific calculation	التفكـــير الحســـابى التكنولوجى
Unterwegs zur spache	On the Way to language	على الطريق إلى اللغة
(auf ein) Unterwegs sein	to be on the way	أن نكون على الطريق

(U)

Urdichtung	Primordial Poetry, genuine Poetijzing	الشعر الأصلي

(V)

(das), Verlautende Wort	the sounding word	الكلمة المنطوقة
Verlust	a loss	فقدان (ضياع)
Vernunft	reason	العقل
Versammeln	gathering , re-collection	تجميع
Verzicht	renunciation	التخلي – الزهد
Vorhandenlheit	pesenee - at- hand	الوجـــود الحـــاضر (وجود الأشياء)

(W)

Währen, weilen	perdure, persist	يبقى – يدوم
Welt	World	العالم
weltgeviert	fourfold	رباع العالم
Weg	Way	الطريق
Weggehen	agoing away	السير على الطريق
Weisen des Sagens	modes of saying	أساليب القول

(das, Wesen der Sprache	the Nature (essence) of Language, the Being of language.	ماهية اللغة
(das) wesentliche Denken	Essential thinking	التفكير الأساسى
(das) Wesende des Wesens	the ground of foundation	تأسيس الأساس
Whonen	dwelling	السكن (الإقامة)
Winke	signs	إشارات
(das), Wort	the word	الكلمة

(Z)

Zeichen	sign	علامة
zeigen	to show	يوضح
Zerbrechen	breaking up	إنكسار (الكلمة)
Zuhandenkeit	readiness - to hand	الوجـود فـى متنـاول اليد (وجود الأداة)
Zuhören	listening	الإنصات
Zusage	grant	تلبية الدعوة

الفهرس

تم بحمد الله

مع تحيات
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
تليفاكس : ٥٣٥٤٤٣٨ - إسكندرية


Bibliotheca Alexandrina
1170105